رواية
الأرض السابعة
إسراء صلاح موسى
سادر الكتب

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الأرض السابعة

رواية

إسراء صلاح موسى

دار بيوند للنشر والتوزيع
٤ ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
٠١٠٩٦٩٠٠٠٠٧
Beyond.dbh@gmail.com
جميع الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها .ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر

الكتاب: الأرض السابعة

المؤلف: إسراء صلاح موسى

الطبعة: الأولى

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: يوسف عز الدين

التدقيق اللغوي: سكون لخدمات الكتب

الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي
رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ٢٣٢٠٢

الترقيم الدولي: ٠-٣٧-٦٦٤٥-٩٧٧-٩٧٨

دار (بيوند) للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة
محمد عز الدين

المدير العام
صبرينة غلمي

المدير التنفيذي
جلال عز الدين

إهداء

إهداء إلى كل من يحلم ويسعى لحلمه ،،،،

أما الذين يكتفون بالحلم

فأعتذرعن الإزعاج ،وأرجو أن تستكملوا نومكم الهنيء

تَقف والأرض تهتز من تحت قدميك، تُحاول الإمساك بشيء فيتلاشى، كأن تبتلعه الأرض من جانبك، وتبقى أنت والدنيا كلها تدور من حولك، والحقيقة أنت من تدور، إنها بداية اللعنة.

اللعنة التي طرقت بابها من أجل أطماعك، فَسحبتك إليها كدوامة في بحر عميق، وأخذتك تحت أنقاضها ودارت بك كدوران الأحداث من حولك واستحال كل شيء من معك لعليك، وتذكر جيدًا لن ينجو منها إلا من كان قادرًا على التحكم في مقدار الشر القابع في داخله، ولطالما كانت السلطة نقطة من نقاط الضعف، وأكثرهم إغواءً لشهوات الإنسان، فلا أظن من ناجٍ من تلك اللعنة..

"كلاسيكيون"

ينادي أحد حراس القصر في ساحة المدينة بصوت عالٍ "يا أهالي مملكة أداماريس الكرام يدعوكم الملك لحضور يوم الكِتاب، وعلى الكل من أنحاء المملكة الحضور سواء أكان غنيًا أو فقيرًا وهذه دعوة عامة من جلالته، وأوامره واجبة التنفيذ"..

تَجمع الناس جميعهم حوله، وأخذ الحارس يكرر الكلمات حتى يسمعها كل أهالي المملكة.

أخذ الناس يتحدثون عن هذا اليوم، وعن عظمته وكيف أن الملك يهتم بالكُتاب والأدباء والعلماء، ويكافئهم، ويوفر لهم كل احتياجاتهم ومتطلباتهم، وأيضا عن صرامته في اختيار الكُتاب.

ازدحمت ساحة القصر بجموع السكان فقراء وأغنياء، كبير وصغير، تضج الضوضاء من كل ناحية ينتظرون مجيء الملك، يتحدث الناس مع بعضهم البعض ويختلفون ويتشاورون عن أمور المملكة، وعن هذا الملك الشاب الذي يتمتع بالعديد من الصفات، وأولهم ولعه الشديد بالقراءة.

فقد كان هذا الملك مميزا على مختلف الأصعدة، في حين كانت كل الممالك تهتم بالحروب والسيوف والقتال اهتم هو بالثقافة، وكيف يمكنه من خلالها بأن يحتل أعلى مكانة بين كل شعوب العالم.

بالرغم من صغر سنه فلم يتجاوز الخامسة والثلاثين، ووجهه لا يظهر عليه هذا السن بل أصغر بخمسة أو سبعة أعوام، وخاصة أن شعر رأسه ولحيته أسود قاتم، ولونه الأبيض الذي يميل للقمحي، وقامته المتوسطة بعض الشيء، ولم تظهر عليه قسوة الحروب والمبارزة والقتال، لأنه لم يتفرغ لتلك المهام وانشغل بقراءة الكُتب والكتابة، وهو محقق شعبية كبيرة بين أفراد شعبه وبعض الممالك الأخرى.

(على المنصة)

ـ وأخيرا جاء الملك وتربع على عرشه، وهنا هدأت الأصوات كأنها لم تكن، احتراما وتبجيلًا للملك.

ولكنه خالف المتوقع، وقد يكون سببه حماسته لهذا العام، فقام من على عرشه وقال:

ـ يشرفني اليوم حضور كل شعب مملكتي في هذه المناسبة، ويشرفني أكثر أن شعبي يهتم بالعلم والعلماء والكتب والكتاب، بالطبع تعرفون أن قوانين المملكة صارمة، وتسير في نظام يُطبق على الجميع سواء دون مبررً، ولا رحمة، ولكن عَادلة إلى أبعد الحدود..

كتاب قصري (كلاسيكيون) نوابغ ولم يختاروا عبثا، كان اختياري لهم في غاية الدقة، وإنني أعتز بهم، وأوفر لهم كل متطلباتهم فقط لتزدهر المملكة، ويعُمها العلم والثقافة، ويزداد وعي أفرادها وبالتالي تحتل أكبر مكانة بين الممالك المجاورة

وتوقف قليلا ووضع يديه على ذقنه يتحسسها ببطء ثم قال بحزم..

- ولكن هذا لا يعطي كتاب قصري امتيازا عن أي كاتب موجود داخل المملكة؛ بالعكس إن هذا اليوم يغير الأقدار.

قد ترتفع مكانة أحد منكم، ويصبح من كتاب القصر، وقد يتغير قدر أحد كتاب القصر ليصبح أقل من أقل واحد بينكم حتى لا يتكاسل أحد من الكلاسيكيون، ويأتي هذا اليوم من العام ولا يقدم عملا له.

وأردف كلامه بشيئًا من الحماس

إنني أنتظر وبلهفة كَتاباتكم وأعلم أنها ستكون مثل كل عام.

وجلس الملك على عرشه وبدأ الكلاسيكيون أولا بعرض كتبهم، وتوالى واحد وراء الآخر، والملك في غاية الفخر والشعب مسرور ومنتبه لكل كلمة..

وجاء دور أنتيمون أحد كتاب القصر وأكثرهم تعجرفا وجنونا وتقدم إلى المنصة بكل ثقة وكأن عقله الماكر ينوي لفعل شيء وأمسك في يديه كتابا ونظر للملك ثم نظر لعامة الشعب وقال أنتيمون:

ـ هذا الكتاب كتبته بالذهب والفضة، وذلك لأن ما بداخله لا يقاس بقيمة الذهب والفضة.

ثم عاود النظر للملك وقال:

ـ يا جلالة الملك هذا الكتاب سوف يغير الواقع، ويجعل مملكتنا أعظم مملكة وسوف تقود مملكة أداماريس كل العالم.

تعجب الملك ونظر إليه نظرة تدل على الاندهاش وتُظهر إرادته لسماع الباقي..

قال أنتيمون:

ـ الكِتاب يتحدث عن كيف يمكننا أن نتحكم في العقل البشري، وكيف لنا أن نسيطر عليه، ونجعله خاضعا لأوامرنا فقط.

سوف نتحكم في الجميع ونجعل هذا الكون تحت سيطرتنا..

سنكون الحكام المالكين لهذا العالم..

سَنُسير الجميع لخدتمنا..

بدأ الشعب يسخرون مما قاله هذا الكاتب المجنون، وكيف له أن تخطر في باله هذه الخرافات، ولم يتخيل أنتيمون رد الفعل هذا من الناس، وشعر وكأن مكره هذه المرة وخداعه لن يفيده للوصول الى أهدافه. وقف الملك بكل غضب ليوقف هذه المهزلة، ويُهدئ الناس ليستطيع التحدث، وعندما وقف الملك انتهت الضوضاء احتراما لجلالته.. وقال الملك:

ـ كاتب من الكلاسيكيين اليوم عرض علينا فكرة كتابه، أعلم أن الفكرة غريبة أو أنها مستحيلة.

وتكلم بحزم كبير..

ـ مملكتي لم تسر يوما وراء خرافات، اعتمدت على العلم لنصل إلى ما وصلنا إليه حتى الآن، فكيف لك أيها الكلاسيكي أن تستهين بعلم مملكتي وشعبها لتعرض علينا هذه الأكذوبة اللعينة.

إنك تهين مملكتي وشعبي.

حاول أنتيمون أن يدافع عن نفسه ولكن الملك قال:

- إنني لن اسمح لك بالتفوه بكلمة واحدة الآن، ولكنني بالطبع لن أحكم عليك دون أن أقرأ كتابك الكاذب، لأعرف إلى أين وصل بك الجنون، وستُعرض على المحكمة بعد خمسة أشهر لتثبت أنك قادر على أن تتحكم في عقل بشري واحد، وبالطبع أنت الآن لست من كتاب القصر الشرفاء الكلاسيكيين.

أيها الجنود خذوه من هنا إلى أن يحين موعد محاكمته..

انتهى دور كُتاب القصر، وطلب الملك من كُتاب المملكة أن يتقدموا واحدا تلو الآخر ليعرضوا كتبهم..

"احتلال"

مرت الأيام واستمر الملك بقراءة عدة صفحات من كتاب أنتيمون ولكنه كان يقرؤه بسخرية

وكأن علمه وإدراكه لا يستوعبان هذا الكلام.

بدأ الملك ينتبهه لبعض الكلامات، وتركزت أفكاره كلها نحو المكتوب، وأصبح يقرأ بتمعن..

- أيها البشري

انتبه

وعندما ينظر لعيني

سأحاول بكل جهدي ألا يتشتت تفكيري

وأركزه كله نحو بؤبؤ عينه

إلى أن أشعر وكأن روحه بدأت تهدأ وتستكين

هنا يمكنني أن أضع الإبهام والسبابة وأركزهما على رأسه

وتلك بعض الكلمات التي ستجعله مغيبا تماما. (تم حذفها حفاظًا على سلامة القارئ)

ونـادى أحـد الملـك، ولـم يكمـل وتـرك الكتـاب علـى مكتبـه، ولكـن تلـك الكلمـات ظلـت تتكـرر فـي رأسـه، وبـدأ الملـك بالفعـل يصـدق بعـض الكلمـات، ويفكـر لـو أنـه يجعـل مملكتـه هـي الحاكمـة ويكـون هـو الحـاكم الوحيد.

وقد تسربت هذه الفكرة إلى رأسه كتسرب السم في البدن، وأخذت تجول في ذهنه فكرة احتلال العالم، ويكون الحاكم الأعظم، وكلمته تسير على الجميع، وزادت أطماعه وتغيرت مبادئه عند تخيله النفوذ والسلطة.

داخل السجن يقبع رجل ملامحه غليظة بعض الشـيء، والغضـب يظـهر عليه بشكل كبير، وكأنه يريد أن يحرق السجن بالمملكة بكل ما يقف فـي طريقه.

كاتـب سـار وراء أطماعـه، أراد أن يكـون مميـزا عـن أى كلاسـيكى بالقصر فوقع في مستنقع عميق، ولم يتمكن من الخروج منه، ويعلم يقينا أن بعد رد فعل الملك عن كتابه لا يمكنه الخروج مرة ثانية للهواء بعد المحاكمة اللعينة التي حددها الملك، وسينتهي أنتيمون إلى الأبد.

كل تلك الأفكار تدور في رأس أنتيمون وكيف ينقذ نفسه هذه المرة...

واستمر الملك كل يوم يقرأ في الكتاب

صفحات وصفحات..

وكان هذا الحال كل يوم، فالملك بعد أن كان منشغلا بقراءة كتب عدة بدأ يركز تفكيره كله نحو ناتج تفكير هذا الكلاسيكي.

كيف للمملكة متوسطة الحجم، وليست بكبيرة يجاورها بحر شاسع المساحة والعمق من الشمال، وجبال من الجنوب، ومملكة ألبيرتوس من الشرق، ومجموعه من الممالك الصغيرة في الغرب.

جلس يفكر في مكتبه بالساعات ليضع خطة قوية ليتحرر من نطاقه ويتوسع في مساحته، ممالك صغيرة في الغرب احتلالها لا يتطلب خطة، وفجأة جاءت في رأسه فكرة وضحك ضحكة تدل على الانتصار، إنني سأغزو تلك المملكة وأتحكم في العقول البشرية، وسأجعل جيشهم يحاربهم بدلا من أن يحاربني، وعلت صوت ضحكات خبيثة مصدرها أطماع في السلطة والنفوذ، وعزم الملك على قراءة ما تبقى من الكتاب ليعرف كيفية تنفيذه، وإن لم يتمكن يمكنه استعارة عقل هذا الأنتيمون ليعلمه الطريقة ثم يتخلص منه.

ولكن مرت الأيام وتغير الحال كثيرا..

المملكة دخلت في أكبر مأزق وكأن هذا الكتاب لعنة كل من يقترب منه يتأذى ويقوده إلى قدر آخر، قُتل ملك مملكة أداماريس عند حدود المملكة، ولا أحد يعرف من الفاعل.

واستغلت إحدى الممالك المجاورة هذه المحنة، وخاصة أن الملك لم يكن لديه وريث للحكم، فتدخلت مملكة ألبيرتوس المجاوره لتحتل مملكة أداماريس.

وبالفعل استطاعت دخولها، والجلوس على عرشها، وخاصة أنها مملكة تتمتع بكبر جيشها، وشعبها، واهتمامهم بالقتال والحروب، فكان من السهل عليهم دخول أداماريس، المملكة التي لم تهتم بالجيش بقدر اهتمامها بالعلم والثقافة، وتوفير كل الثروات والأموال للتقدم في العلم.

وهكذا جلست مملكة ألبيرتوس على عرش مملكة أداماريس، وقامت بسجن الأسرة المالكة واستغلال كل خيرات وثروات المملكة، وكُتب القصر وأغراض الملك والأسرة المالكة وضعت في قبو قديم في إحدى زوايا المملكة..

واستغلوا ما يمكنهم استغلاله من هذه الأغراض، والباقي ترك في هذا القبو ليستغله فقراء المملكة، وبقي الكَتاب على الأرض، ولم ينتبه له أحد..

واشتعلت الحرائق في المملكة، ومن المؤسف أن السجن الذي كان به أنتيمون احترق ولم يتبقى منه إلا رماد السجناء.

وهكذا انتهى الحال بالكلاسيكيين، وأنتيمون، والملك، ومملكة أداماريس لتتحول إلى أداماريس المحتلة من قِبل ألبيرتوس، والتي جندت معظم شعبها أما الكِتاب فعمره كان أطول بكثير منهم جميعا.

"كتابٌ مجهول"

ـ أبي لقد أحضرت لك مفاجأة.

ـ ماذا أحضرتِ لوالدك يا فتاتي الجميلة آليديا؟

ـ أحضرت لك المزيد من الكتب وأعلم أنك ستسعد بذلك.

ـ ومن أين حصلتِ على أموالها؟!

ـ إنها بأموال ضئيلة جدا، لا يعرف بائعها ثمنها، ولم أهتم لذلك لأنني أعلم أنه بالتأكيد حصل عليها من القبو القديم الذي نقلت إليه أغراض الملك.

ـ المهم أنكِ لم تكلفي نفسك الكثير، اتركيها من يديك لأراها، وادخلي أعدي الغذاء لإخوتك قبل أن يأتوا من العمل.

أمسك أنطونيوس بالكتب، وبدأ يتفحصها ويقرأ عناوينها، ولكن كتابا واحدا من بينهم لفت انتباهه.

عنوانه غريب جدًا، ولم يتمكن من فهم ما يعنيه اسمه

كلماته من الذهب والفضة..

تذكر أنطونيوس أنه ترك دكانه، فوضع الكتب كلها على الطاولة وذهب مسرعا إليه، فهو باب رزقه الوحيد والذي لا يجني منه إلا قليلا.

أنطونيوس كان رجلا صالحا حكيما زوجته ماتت تاركة له ابنة وثلاثة أولاد، يشتغلون طوال النهار، ليحققوا احتياجاتهم بعد ارتفاع الأسعار في أداماريس، بسبب احتلال ألبيرتوس لها، كان هذا حالهم بعد هذا الاحتلال منذ سنوات عدة.

وعندما عاد أنطونيوس لمنزله في نهايه اليوم، قرر أن يقرأ أحد الكتب التي ابتاعتها آليديا اليوم، وقرر أن يبدأ بالكتاب المجهول عنوانه.

أمسكه قليلًا في يديه، وحاول نطق الاسم عدة مرات، ثم قام من مكانه، واتجه ناحية مكتبته التي تضم العديد من الكتب، وأخرج كتابا لتفسير المعاني والمفردات وأخذ يبحث في حرف (س) أول حرف في اسم الكتاب، و بالفعل وجد الاسم بين المعاني وكان يعني

"الأرض السابعة"

وأخذ يتساءل إلامَ يشير العنوان؟ وعمَّ يتحدث الكتاب؟

وقرر أخيرًا فتح الكتاب..

وبدأ يقرأ أولى كلماته وحروفه.

كان يبدأ بحروف ورموز غير مفهومة، ولا تنتمي للغة التي يتقنها ويتحدث بها.

(تم حذفها خوفًا على سلامة القارئ)

وبدأ يتعجب له، تأثير الكتاب على هذا الرجل العجوز كان كبيرا، فأصبح شاردا لساعات طويلة، وكأنه في وادٍ غير الوادي الذي كان فيه.

كانت آليديا تثرثر لأبيها وتحكي له عن سبب خصامها مع إحدى صديقاتها.

ـ أبي ما رأيك هل أنا خاطئة أم هي!

ولكنه لم ينتبه فوضعت يدها على يد أبيها فانتفض..

ـ أبي أأنت بخير؟

وضع أنطونيوس يده على ابنته بحنان وقال لها:

ـ اعذريني يا ابنتي فلم أنتبه لكلامك.

ـ لا بأس يا أبي سأذهب الآن إلى المنزل لأعد لكم الطعام.

وهمت بالمغادرة فإذ بأحد الزبائن تقدم للدكان، وطلب مجموعة من المشتريات

فاستأذنت وغادرت.

ومرت الأيام وكل يوم يقوم أنطونيوس بقراءة عدة صفحات من الكتاب، وأخذ الكتاب كله تفكيره، إلى أن جاء اليوم، وأنهاه وعندما أنهاه قرر أنطونيوس أن يخبئه في مكان حتى يفكر ماذا يفعل به..

استيقظ في اليوم التالي وقرر أن يذهب للنجار.

ـ مرحبا بك.

ـ أهلا بك يا صديقي أنطونيوس.

ـ أريد صندوقا طوله وعرضه حوالي ثلاثين سم.

ـ تعال لي بعد يومين ولك ما طلبت.

دفع له أنطونيوس كل المال الذي كان معه فلم يكن معه الكثير، وذهب لمحله الفقير ليجني اليوم أي شيء.

مر اليومان وذهب أنطونيوس ليأخذ الصندوق الخشبي، وبالفعل أخذه، وذهب الى المنزل ليضع فيه الكتاب وخبأه تحت فراشه إلى أن يحين الوقت المناسب

قام أنطونيوس في أحد الأيام بالاجتماع بأولاده. قالت آليديا:

ـ خيرا يا أبي أيوجد شيء جديد؟

أنطونيوس وضع يديه على كتف ابنه إيميليوس الأكبر سنا بين أبنائه وقال:

ـ ولأنك الأكبر يا بني من بين أبنائي فالجزء الأكبر من المسئولية يقع على عاتقك أنت.

قالت آليديا:

ـ مسئولية ماذا يا أبتِ؟

ـ هذا الصندوق هو أمانتي التي سأتركها يوما ما لتحافظوا عليها أنتم من بعدي، وهذه هي وصيتي.

ـ وماذا بداخل الصندوق؟

اعتدل أنطونيوس في جلسته وقال:

ـ ممنوع فتحه، إنه أمانة مني سيتسلمها نسلي جيل بعد جيل، أريده أن يوضع في أماكن جيدة الحفظ من وقت لآخر.

فقال ابنه الأصغر:

ـ لك العمر الطويل يا أبي ولك ما تشاء منا.

وقال إيميليوس:

ـ سنحافظ على أمانتك يا أبي.

قال ابنه الأوسط:

ـ اطمئن يا أبي فنحن تعلمنا منك الأمانة ولن نخذلك أبدا.

قالت آليديا:

ـ نعدك يا أبي أننا سننفذ وصيتك، ولكن أليس مبكرا التحدث في هذا الشأن..

ـ أحبائي أنتم خير أبناء، أحببت فقط أن أخبركم بأمر الصندوق فلا أحد يعلم متى ستتغير الظروف.

مرت الأيام والسنون وتزوج كل أبناء أنطونيوس وكانت تزوره آليديا بين الحين والآخر.

ذهب أنطونيوس إلى قبر زوجته وحبيبته..

وجلس أمام القبر لساعات وساعات يتحدث إليها ممسكا في يديه حبات من تراب القبر..

ـ لقد ذهبتِ وتركتِني أنا وأمانتك الغالية أولادك، إنهم تزوجوا وأنجبوا أحفادا لي ولكِ

،لقد أديت مهامي على أكمل وجهه، وحان الوقت لأن آتي إليكِ لأنني مللت الحياة من دونك عزيزتي.

وأسقط حبات التراب من بين أصابعه ببطء وكأنه يتأملها، ثم مسح دموعه الساقطة على خديه، وترك المكان بقلبٍ مكسور.

ذهب إلى منزله، واتجه نحو غرفته، وأحضر صندوقا من خزانة ملابسه، وجلس على الفراش وقام بفتح الصندوق، وأخرج الكتاب، وأخذ يلمس غلافه بتأمل، ثم فتحه وقام بتقليب عده صفحات، وهو يتكلم بصوت مسموع وكأنه يتكلم مع الكتاب..

ـ لا أعلم من يكون كاتبك، ولكنك بالطبع كَتاب ملعون، اسمك يدل على شيء كبير أكبر من أنك مجرد كتاب عادي ألفه أحد الكتاب المهووسين بالسلطة والنفوذ، لابد أن توضع في هذا الصندوق، ولا يراك أحد وهذا الأفضل لي وللعالم.

أغلق أنطونيوس الصندوق غلقا جيدا، ووضعه في خزانته، وكتب رساله ووضعها فوقه، وأغلق باب الخزانه عليهما.

تمدد أنطونيوس بعدها على الفراش ، وظل ينظر لسقف الغرفة ، شاردا فى الكتاب ، ومحتواه ، وما علاقته بالأرض السابعه ياترى ؟ وكيف يمكن تنفيذه فى الحقيقة ؟ وتأثيره على المملكة لا بل العالم جميعا .

أمام كل تلك الأفكار غلبه النوم، وانتصر عليه، وغطّ في سبات عميق.

"الجيل السابع"

صرخات متواصلة من آليديا.

- لا لا!!!

تبكي بأعلى صوت، تتساقط الدموع وكأن المطر يهطل بغزار إقليم استوائي.

- أبي أبي آه لا.

لا تتركني مثلما تركتنا أمي، أرجوك يا أبي، أتوسل إليك، ألن تحنو على ابنتك آليديا.

ألن تضع يديك على رأسي، وتقبل جبيني، لا يا أبي لا.

لا يمكنك أن تتركني، إنك عيني ودنيتي، إنك كل ما أملك، أين أذهب عندما أحزن،

من سيمسح دموعي، أستترك تلك الدموع لتجف وحدها.

أستترك دنيتنا وتذهب لأمي دون وداع حتى، ما هذا الظلم..

تبكي آليديا ممسكة بيد أنطونيوس بكل قوة حتى لايأخذوه بعيدا عنها، تشعر وكأن روحها تقتلع من أعماقها، وتصرخ كلما تتذكر، ويبكي كل من حولها، الجميع كان يحبه، لم يقدم لهم إلا المعروف والإحسان، حكمته وبلاغته كانت لها أثر كبير على كل من حوله، فالكل هنا يبكي،

وكأن الخسارة واحدة، والحزن واحد، أما القلوب فكلها هنا مكسورة، الحكمه التي تمتع بها جعلته يدرك خطورة هذا الكتاب الملعون.

مرت الأيام والشهور والسنون وأبناء أنطونيوس يحافظون على الأمانة جيدا بعد موت أبيهم، ويتسلمها جيل بعد جيل حتى وصل إلى الجيل السابع.

فقبل هذا الجيل كانت عملية حفظ الصندوق سارية بشكل طبيعي؛ ولم يحاولوا فتحه زعما منهم أنه قد تصيبنا اللعنة إن حاولنا فتحه او التخلص منه.

واستخلصوا تلك النتيجة من رسالة أنطونيوس التي تركها فوق الصندوق والتي أُطِّرَت بشكل جيد حتى يتمكنوا من الحفاظ عليها.

فلم يدب إليهم الاستطلاع أن يفتحوا الصندوق، الذي كان موضوعا في إحدى غرف المنزل التي يحتفظ فيها الوالد بأشيائه التراثية، والأنتيكا، والأشياء العتيقة وخاصة أن الصندوق كان محكم الغلق.

ولكن في الجيل السابع قد تغير الوضع فكان لأنطونيوس أحد الأحفاد المغامرين، كان يتسم أدريانوس بحب الاستطلاع الشديد، والذي جعله يفكر كثيرا بفتح الصندوق، وما الذي جعل جده أنطونيوس يجعله وصيته.

استيقظ أدريانوس في اليوم التالي.. نزل من غرفته لتناول الإفطار مع زوجته وأبنائه.

ـ صباح الخير يا عزيزتي.

وتقدم وقَبل جبينها، ثم قال لأبنائه أدورجان وأديو اللذان يبلغان من العمر عشر وسبع سنوات.

ـ كيف حالكما أيها الشبان؟

ـ بخير يا أبي.

ـ استعدوا فسوف نذهب اليوم للصيد.

أجاب أدورجان بكل حماسة:

ـ أريد اليوم أن أصطاد أسدا.

فضحك الجميع وقال الأب:

ـ أسد مرة واحدة، مهلك أيها الصياد.

ونظر لأديو موجها له كلامه:

ـ وأنت أيها الصغير ماذا تريد أن تصطاد؟

ـ لا أريد أن أقتل الحيوانات، إنني أكره الصيد.

رد عليه أدورجان بسخرية:

ـ ما رأيك بتربية الماعز، لا البعوض أفضل.

وأخذ يضحك فرمقه أديو سريعا، وظهرت عليه علامات الغضب، وتوجه مسرعا نحو غرفته.

وقف أدريانوس بحزم وقال:

ـ ألا يمكنك أن تحترم فكر أخيك الصغير، ماذا يعلم هو عن الحياة لتعامله بهذه القسوة وتلك الطريقة، هل هذا هو عطف الكبير على الصغير، لديك فرصة لتصلح ما فعلته.

وترك أدريانوس المائدة متجها نحو حديقة المنزل.. جاءت زوجته وراءه.

ـ لا تقلق كل شيء سوف يكون بخير.

ـ إنني قلق من ناحية معاملة أدورجان لشقيقه، أشعر وكأنه يحاربه عن طريق السخرية من أفعاله.

ـ قد يكون هذا غير صحيح أيضا، أدورجان يحب أخاه.

ـ بالطبع يحبه ولكنه يغار منه، وقد يكون السبب قربك الزائد لأديو، قد يكون يشعر بأنك تفضلين شقيقه عليه.

ـ أديو صغير ويحتاجني أدريانوس، قريب مني لأنه يعتبر عين أمه هي طريقه في الحياة.

ـ أنا لا ألومك مطلقا على ما يحدث، إنني أفهم ما تقومين بفعله.

ـ وما العمل الآن، كيف يمكننا إصلاح ذلك؟

ـ لا تقلقي سأحاول بكل جهدي أن أصلح كل ما يمكن إصلاحه.

انشغل أدريانوس بأبنائه وترك أمر الصندوق جانبا، ولكنه لم ينسَ أبدا أمره، توجه نحو غرفته التي يجتمع فيها تراث أجداده وغيرها من الأنتيكا، وظل واقفا أمام الصندوق لعدة دقائق، ثم اقترب منه، ووضعه يديه عليه أخذت أصابعه تلمسه ببطء وعينه تتأمله، حاول فتحه ولكنه يحتاج إلى شيء حاد، فظل يفكر قليلا ثم تركه من يديه وذهب وأغلق الغرفة وراءه وتراجع أدريانوس عن فكرة فتح الصندوق ونساه بجانب الصراع الدائم بين أبنائه.

ـ كنت أريد أن أفتحه اليوم، ولكنني سمعت أصوات أديو وأدورجان وهما يصرخان على بعضهما البعض فخرجت سريعا مهرولا إليهم.

نظرت إليه زوجته مندهشة..

ـ لا يمكنك فتحه أدريانوس إنه لعنة، وسوف تحل علينا.

ـ وكيف يمكننا أن نعرف إذا كان لعنة أم لا هو مغلق ونجهل ما بداخله.

ـ لا يا عزيزي لا تغامر بحياتنا وأبنائنا أرجوك.

ـ لا تقلقي يا عزيزتي. لا تقلقي، لن أفتحه.

وانتهت مناقشة أدريانوس مع زوجته وقرر عدم فتحه حفاظا على عائلته.

قد يكون الوقت خير دليل لشفاء الجروح، ولكن البعد الطويل في العلاقات قد يفسدها، ويجعلها غير صالحة تماما، الدماء واحدة، والأب واحد، والأم واحدة، ولكن الأبناء كل منهما في طريق مختلف، كل منهما يبحث عن غير شيء، حاول أدريانوس أن يقرب أبناءه من

بعضهما البعض، ولكن إن كان الطرفان غير مستعدين فما السبيل من المحاولة التي باتت فاشلة وللأسف.

مرت سنون ولم يتحسن الوضع بل ازداد سوءا، خشي أدريانوس أن يموت، ويترك أبناءه على هذا الحال..

أدريانوس على فراش الموت، وزوجته بجانبه على الفراش ممسكة بيديه وتبكي، ويقف أبناؤه بجانب الفراش، وكانت المرة الأولى التي يقفان بجانب بعضهما منذ أن كانوا صغارا، ينظر والدهما إليهما، سعيدا برؤيتهما، يحاول أن يقول شيئا كانت الكلمات تخرج بصعوبة وببطء.

ـ أنا لا.. أخشى الموت بقدر خوفي عليكما، أرجوكما... قفوا بجانب بعضكما ولا تجعلا أمكما هذه المرأة الطيبة تحزن، سأحزن كثيرا إن بقيتما على هذه الحالة، يمكنكما اعتبار هذه الكلمات وصيتي الأولى.

اقترب أديو من والده وعينه تبرق بالدموع:

ـ لك ما شئت يا أبي لا تقلق، وما هي وصيتك الثانية؟

ـ وصيتي الثانية هي صندوق جدي الأكبر، أمكما ستقول لكما كل شيء عنه.

اقترب أدورجان من والده وأمسك يديه وقال:

ـ سوف تكون بخير يا أبي، لا تمت أرجوك. وأجهش بالبكاء ولم يتمكن من منع نفسه فتوجه خارج الغرفة وكلها لحظات قليلة وسمع صوت صرخات أمه، وعلم أن أباه قد رحل وفارق الحياة..

"كره غير مبرر"

قال آليريو:

ـ ما هذه التحف التي لديكما يا صديقي!

نظر أديو حوله مشيرًا إليها:

ـ إنها كل ما تبقى من أجدادي، تراث أجدادي كان عظيما، جدي الأكبر كان يدعى أنطونيوس واتسم بالحكمة والثقافة برغم فقره.

ـ وما هذا الصندوق الذي هناك؟

ـ إنه صندوق جدي وهو أمانة ونحن لا نقترب منه مطلقا. إنني لم أدخل تلك الغرفة إلا بعد موت أبي، أشعر برائحته هنا في كل الأركان والزوايا، لقد وجدت نفسي يا صديقي في هذا المكان فصار خلوتي التي أختلي بها بعيدا عن الجميع.

ـ عجبت منك يا صديقي فأين لك بكل هذا الانطواء؟

ضحك أديو بشيء من الحزن، ثم خرج من الغرفة، وقال له هيا لنخرج، وخرجا الاثنان إلى حديقة المنزل، وفجأة سمع صوت طلق ناري، ووقعت إحدى الحمامات عند قدميه..

التقطها أديو سريعا، وأخذ يبحث عن مكان الجرح، وهنا ظهر رجل من بعيد ذو طول وعرض ليس بقليل حاملا بندقيته ومتجها نحو أديو.. مد آليريو يده ليصافحه.

ـ أهلا بك أدورجان هل كنت تصطاد بالقرب من هنا؟

نظر إليه بتعجرف، وكأن الكلمات لا تريد أن تنبعث من فمه وقال:

ـ ناولني الفريسة.

ومد يديه.. مشى أديو خطوات نحوه واقترب منه ومد يديه أعلى قليلا ثم نظر إليه وبؤبؤ عينه لا يتحرك وكان نظره كله مثبتا نحوه وقال:

ـ أتريدها تفضل...

أفلت الحمامه من يديه فطارت، ونظر إليها أديو فرحا سعيدا.. الشر يتطاير من عين أدورجان التي ثبتت على أديو كالرصاصات.

ـ حسنا يا ابن أمي.

وتركه وذهب.

اتجه آليريو نحو أديو وقال في اندهاش:

ـ كيف عالجتها يا صديقي بهذه السرعة؟

ـ إن إصابتها خفيفة وسطحية ويمكنني علاجها بسهولة، صحيح أن جناحها سيعوقها بعض الشيء ولكنها بعد فترة قصيرة ستستعيد لياقتها من جديد. إنها خبرة سبع عشرة سنة، في كل يوم أسمع طلقات النار أجري سريعًا إلى الحديقة وأفتش فيها، وإن لم أجد أفتش في نواحي البيت وأطراف الغابة، لأنقذ هذه الكائنات البريئة من بين يد أدورجان.

ـ أمرك أنت وأخيك مريب كثيرا، كيف تتحمل أمكما نبرتكما اللاذعة لبعضكما البعض.

ضحك أديو من حماقة آليريو وقال مستهزئا بكلامه:

ـ وهل هذا جديد على أمي، إننا منذ أن كنا صغارا هكذا، ولكن بعد موت أبي، وحزن أمي العميق عليه، بدأت أنا وأخي نتجنب بعضنا أمامها.

أومأ رأسه له:

ـ أجل فهمتك، سأغادر الآن.

ـ حسنا يا صديقي، أمي تنادي في الأساس قد تكون تحتاجني في شيء.

واتجه أديو لأمه وقبل يدها فأخذته بين أحضانها وقالت له بحنان:

ـ ألم يحن وقت الغداء يا صغيري؟

ـ آسف يا أمي فلم أنتبه للوقت.

ـ هيا أخوك ينتظرنا على المائدة.

ـ حسنا.

وهكذا سارت الأمور بهذا الشكل بين تلك العائلة قد تكون لعنة هذا الكتاب السبب، وقد يكون لا ولكن بالتأكيد الظروف قد تتغير يوما ما.

"وصية أدريانوس"

- أدورجان.. أدورجان!

ينادي أديو بغضب كبير، خرجت أمه مهرولة من غرفتها، وفجأة ظهر أدورجان بكل برود كعادته ولكن هذا الوجه قد استفزه أكثر واقترب منه وكاد يضربه..

ـ كيف لك أن تفعل ذلك، كيف لك أن تفرط في كل ما تبقى!

قام بتخليص قميصه من قبضه يدي أديو وقال بغضب وصراخ:

ـ اتركني أيها...

وضغط على أعصابه، ولم يكمل وبعدها نظر إليه وقال:

- أنا لم لم أفعل شيئا ولا أفهم ماذا تقول.

تدخلت أمهم ووقفت بينهما وقالت:

- ماذا يحدث؟ أريد أن أفهم، ما الذي تفعلانه ببعضكما البعض؟ وأنت يا أديو إياك أن تتجرأ وترفع يدك على أخيك الكبير مرة أخرى، أهذه الوصية التي أوصاها والدكما قبل أن يموت؟

قال أديو بصوت عالٍ وصراخ:

ـ إنني أتكلم بشأن وصية أبي وأمانته، بالتأكيد فعلها أدورجان.

ـ ماذا فعل أدورجان يا بني؟

تدخل أدورجان وقال:

ـ أنا لم أفعل شيئا أقسم بأبي.

ـ وماذا عن الصندوق الذي تركه أبي؟

وقعت عليهم الصاعقة واقتربت أمه وأمسكت به وهي تأخذ أنفاسها بصعوبة وقلبها يكاد يتوقف:

ـ وماذا حدث له أديو؟

قال أديو وعيناه تدمع:

ـ ليس موجودا بالغرفة، لقد بحثت عنه ولكنني لم أجده.

صرخت أمه ووضعت يدها على قلبها، ولم ينتظر أدورجان، وأسرع متجها نحو الغرفة، ودخل وأخذ يفتش في كل أرجاء الغرفة، وجاء وراءه أمه وأخوه، وأخذوا يفتشون في كل الزوايا والأركان وبين التحف وبعضها البعض.

جلست أمه على الأرض، وأخذت تبكي بحرقة وتقول:

ـ لم ننفذ كلتا الوصيتين، أعلم أنكما تعاديان بعضكما البعض، وتحاربان بعضكما البعض كلما سنحت الفرصة، أأكذب أنا الآن، أجيبوا.. أريد أن أفهم أين الصندوق؟ أديو أنت من تدخل تلك الغرفة كثيرا، أخبرني ماذا حدث له؟

ـ أنا يا والدتي لم أقترب منه.

اقترب أدورجان من والدته وقال لها:

ـ لم أفعل شيئا يا أمي صدقيني أقسم بـ....

وضعت يدها عليه وقالت له:

ـ أصدقك بالتأكيد، تعالوا معي الآن

ونزلوا إلى حديقة المنزل وجلسوا على الطاولة ووضعت يدًا على يدي أديو ويدًا على يد أدورجان وقالت:

ـ هيا لنتناقش ونفكر بهدوء لنصل لحل.

نظر أديو وأدورجان لبعضهما البعض مستعدين للتعاون من أجل وصية الوالد. قال أديو:

ـ إنني بالكاد كل يوم داخل الغرفه إلا أيام قليلة، والمرة الأخيرة التي دخلت فيها الغرفة كانت من يومين تقريبا وكان الصندوق داخلها.

قالت أمه:

ـ إذن الصندوق مختفٍ من يوم أو يومين فقط وأنت أدورجان؟

ـ أنا أدخل الغرفة قليلا وفي أوقات متأخرة والجميع يكون نائما، وآخر مرة دلفت إليها كانت من أسبوع تقريبا، ولكنني عندما دخلتها كان الصندوق في مكان آخر وظننت أنه أديو لذلك لم أتساءل كثيرًا.

قال أديو:

ـ ولكنني لم أحركه قط، ولم ألاحظ أنه كان في مكان آخر، دائما هو في مكانه..

قاطعه أدورجان مسرعا:

ـ هذا يعني أن اللص كان في البيت هذا اليوم وعندما سمع صوت دخولي المنزل انصرف سريعا ولم يأخذه واضطر لأن يؤجل سرقته عدة أيام حتى يتيح له الأمر.

قالت الأم:

ـ هذا اللص ليس أحدا غريبا ولم يأتِ لسرقة المال، حتى إن التحف لم يأخذ منها شيئا، ولكنه كان يريد الصندوق على وجه الخصوص.

ظلوا يتساءلون كثيرا، ويتحدثون بالساعات والساعات، وتركتهما الأم وذهبت لتعد الطعام، وبعد أن تناولوا بدأوا يتحدثون مرة أخرى بشأن الصندوق.

إنني أتذكر أن تلك الليلة لم أنم وظللت أفكر كثيرا أين ذهب وأنا من أدخل الغرفة دائما ومن يعلم بشأن الصندوق ليسرقه وما الفائدة من سرقته؟

وسمعت طرقا على باب غرفتي وسمحت للطارق بالدخول وتفاجأت بوجهه أمامي..

ـ أدورجان؟

ـ لا يمكنني النوم عقلي يكاد يطير، أفكر كيف استطاع السارق سرقته، ولماذا يريده.

ذهب أديو ناحية الشرفة وقال:

ـ تعال لنجلس في الشرفة لعلنا نستطيع أن نصل كيف دخل السارق.

جلس أديو، ووقف أدورجان ينظر إلى حديقة المنزل في محاولة منه لتفسير كيف دخل السارق ثم اتجه ناحية أديو وقال له:

ـ إن السارق دخل من باب المنزل، وخرج منه.

ـ كيف دخل وخرج بهذه السهولة؟

ـ لعل ظني في محله، وإذا كان هو أقسم بأبي أنني لن أرحمه.

ـ ومن يكون؟

ـ انتظر لأتأكد..

يتناولون الإفطار ويجلس أدورجان شاردًا، لاحظت والدته ووضعت يدها على كتفه.

ـ ماذا بك يا بني؟ لماذا لا تأكل؟

انتفض أدورجان عندما لامست يدها جسمه، وخرج من شروده، وعاد إلى الواقع.

- لا.. لا شيء.

- فلتأكل يا بني، حتى نستطيع أن نبحث ونفكر جيدًا بشأن الصندوق.

- أجل يا أمي، معكِ حق.

انتهوا من الإفطار وانتبهت أمه أن أدورجان ذهب مسرعا لغرفته، وعلى وشك الخروج فتوجهت له لتعلم ماذا لديه، ولأنها تعلم يقينا أن عقله بالتأكيد يفكر في شيء يخص الصندوق.

- أدورجان.. بني إلى أين ذاهب مبكرًا ومعك بندقية الصيد؟

- لا يا أمي، لا يوجد شيء، أقصد أنني ذاهب للصيد.

- أنت تخفي عني شيئا بالتأكيد.

فأخذها ودخل حجرتها، وظلوا يتحدثون بصوت منخفض وبعدها خرج مسرعًا.

"القبض على السارق"

في ليلة أمس ومن ناحية أخرى هناك من يقف بجانب النهر، ثم يمشي يمينًا ويسارًا، وكأنه يبحث عن شيء ضائع، ثم يجلس يفكر، وفي النهاية يحاول كسر شيء ما..

ـ اللعنة عليك أيها الصندوق، فتحتك بصعوبة بالغة لأجد بداخلك هذا الكتاب القديم.

وترك الكتاب والصندوق على الضفة، ومشى وهو يلعن الدنيا وما عليها، وعن حظه الذي هيأ له أن الصندوق بداخله شيء ثمين للغاية، وترك كل ما يجاور الصندوق في الغرفة من أشياء لها قيمة، والطمع أعمى عينيه، وخان صديقه الذي لم يقدم له يوما إلا المعروف.

وفي الناحية الثانية في الصباح الباكر، هناك أدورجان الذي يقود حصانه سريعًا، متوجهًا إلى أحد منازل الطبقة المتوسطة في منتصف ماريس بينما يسكنان على أطراف المملكة بالقرب من الغابة وفي إحدى الفلل التي لا تدل إلا على أنهم من الطبقة الغنية.

نزل من على حصانه، وطرق أحد الابواب، وإذا بمالك المنزل يفتح الباب فيُصدم بالطارق وتنزل عليه الصاعقة، ويعلم يقينًا أن هذا اليوم لن ينقضي بسلام.

ـ أد.. ور..جان.

تسمر مكانه، ووقف وعيناه مفتوحتان بشدة وبؤبؤ عينه لا يتحرك، تلعثم في نطق اسمي، ولسانه ثقيل على قول تفضل بالدخول، كل هذا وأنا أقف بهدوء عاصفة ثلجية، وأتأمل حالته وأصبر نفسي، وأحاول أن أطفئ البركان الذي بداخلها، الذي يريد أن يقتلع صدري من مكانه ويخرج بكل شدته كالفيضان ليدمر كل ما يوجد أمامي.

ـ ألن تسمح لي بالدخول يا صديقي، أم أنك ما زلت غاضبًا مني، لأنني لم أصافحك في ذاك اليوم، اجعل قلبك أبيض يا آليريو.

وضغط على أسنانه عند قول اسمه، كاد آليريو أن يبلل نفسه كالأطفال، وخاصه عند رؤية البندقية على كتف أدورجان، تهيأ له أنه سيقتله الآن مثلما يقتل الفريسة، وظل شاردًا إلى أن نغزه أدورجان بالبندقية في صدره تحديدًا مكان قلبه..

انتفض آليريو بشدة، وأخذ يتصبب عرقًا كالمطر، وهنا ركع عند قدميه.

ـ أرجوك أدورجان لا تفعل لي شيئًا، إنني كنتُ بحاجه للأموال، ولم أعرف كيف أدبرهم، فاضطررت لسرقة صديقي أديو، وخنت ثقته، و هيئ لي أن الصندوق بداخله ثروات.

وهنا دخل أديو عليهم وغرس أصابعه في كتف آليريو وقال:

ـ لن يخلصك أحد مني.

ـ اتركه أديو لنعرف ماذا حدث بالصندوق وما فعل به.

وحاول تخليصه من يديه، وأمسكه هو بقبضة يديه القوية وقال له:

- إن لم تعترف بكل شيء لن يخلصك أحد منا.

وطلب من أديو إغلاق الباب والنوافذ جيدًا حتى لا يستطيع الهروب.

ـ إنني أخذت الصندوق وذهبت للنهر لأفتحه، خوفًا مني أن تكتشفوا أمري بسرعة، وقفتُ عند الضفة، وظللت أبحث عن شيء حاد لأفتحه، وأخرجت سكينا كان معي احتياطيا، وجلبت فرعًا قويا، ولكنه لم يستطيع فتحه، فاستمررت بالبحث عن شيء حاد قوي فوجدت فأسا لأحد المزارعين بالمنطقة كان يخبئه داخل أرضه، واستمررت بالطرق عليه حتى استطعت فتحه، ولكنني بعد أن فتحته، لم أجد إلا كتابًا بداخله ولم أفتحه بسبب صدمتي به، فتركتهم على الضفة وذهبت.

تركه أدورجان من بين يديه وما هي إلا ثوانٍ، وتقدم أديو إليه وصار يضربه كالمجنون ضربًا مبرحًا.

ـ لقد خنت ثقتي، كيف لك أن تفعل ذلك، لقد اعتبرتك أخي!

وكأن تلك الكلمة وقعت على أدورجان، وطرفت قلبه من الداخل، فدمع بداخله بصمت والكلمات تتكرر في ذهنه، أتعتبر هذا أخاك وأين كنت أنا من كل ذلك، واقترب من أديو وقال له:

ـ هيا لنذهب لضفة النهر ليس لدينا وقت، اتركه من يديك سيموت، هيا..

وأمسكه بقوه وخلص آليريو من قبضة يديه واتجه به نحو الباب وخرجا وركبا أحصنتهم، وتوجهوا ناحية النهر وظلوا يبحثوا ولم يجدوا إلا الصندوق مرمي على ضفة النهر.

ذهبوا للمنزل خائبي الظن، واضعين أيديهم على خديهم، لقد انقضى الأمر، ووصية أبيهما ضاعت وأكلها الذئب وذهب.

ولكن كان هناك ما يستحق أن تضيع من أجله، وهي الأخوة.

(٢٢ كانون الثاني)

ضاعت الوصية الثانية لأدريانوس لتنقذ الوصية الأولى.

"ماريس"

الشعر البني الطويل يتطاير على وجهها الأبيض الناصع، وعينها البنية البراقة، فتاة في السادسة من عمرها احتلت قلب رجل شايب الشعر فضي اللون، وتربعت بجانبه على عرشه، أحبها أبوها لدرجه جعلته يأنس بها وينسى موت أمها.

تقف تلك الفتاة كل يوم وقت الغروب، تنتظر المراسيل، تتطلع للشمس ممسكة بيدها رسالة مزخرفة، يأتي أحد حراسها، وتمد يدها الصغيره نحوه بالرسالة بعد أن تقبلها ليقرأ ما كتبته والدتها.

وتسمع الكلمات في إنصاتٍ وحب، شاردة في كل حرف، وكأنها تستمع لأغنية تُغنى خصيصًا لها، و عود يعزف ليطرب مسامعها، فتطير في خيالها، وتتخيل نفسها داخل أحضان تلك الأم الحنون التي لم تفارق ذهنها يومًا، وبعد أن ينتهي القارئ، تأخذ الرساله حاضنة إياها وتتأمل الغروب، وتأخذ أنفاسًا عميقة، وكأن جبلا من الهموم والأحزان زال من على هذا القلب الصغير، فتترك الحب والأمل الذي تأتي من أجله لهذا المكان إلى أن تعود في المرة المقبلة لتأخذ أقساطًا وفيرة من الحب والأمل لينعش قلبها ويعطيه سببًا لتحمل ألمها ومَرضها.

اليوم الحادي والعشرون من كل شهر تنتظر الفتاة رسالة أمها بفارغ الصبر، كل يوم تذهب في الساعة الخامسة عصرًا، لتشعر روحها بدفء المكان، وتَعُب منه أكبر قدر من رائحة أمها، التي كانت دائما تجلس في

هذا المكان وتحبه قبل موتها فأحبها المكان واحتفظ برائحتها ونسيمها، وكأن روحها بقيت فيه، ليغمر هذا المكان الحب الذي غمرته أمها له.

ذهبت إيميليا كعادتها لضفه النهر، في مكانها المعتاد، وأخذت رسالة والدتها من على الأرض وقبلتها ثم أعطتها للحارس، وقرأها لها وبعد أن انتهى أخذتها في أحضانها وظلت جالسة تتأمل الغروب، إلى أن أوشكت الشمس على الاختفاء، فعزمت على الرحيل، مشت خطوتين وفي الخطوة الثالثة توقفت فجأة، فقد دعست قدمها على شيء غير مألوف، لا يمكن أن يكون صخرة أو حَجرا، فتوقفت لترى ما تحت قدمها، وجدت كتابا، غلافه قديم بعض الشيء، لن يلفت نظر تلك الفتاة الصغيرة سوى لمعانه من الداخل باللون الذهبي والفضي، فأخذته في يدها.

- أبي.. أبي.

وارتمت بين أحضانه أمام مستشاريه ولم تنتبه أن الملك أدريان في اجتماع.

- إيميليا ابنتي أنا مشغول الآن.

وقبلها على جبينها وقال:

- اذهبي الآن وبعد أن أنتهي سآتي إليكِ.

ـ حسنًا. لقد وجدتُ هذا الكِتاب.

وتركت الكِتاب على طاولة صغيرة بجانبه، وذهبت.

ـ هيا لنُكمل ما كنا نتحدث عنه، ماذا بعد مشكلة المياه في ماتورا (إحدى مناطق ماريس التي توجد على أطراف المملكة)؟

ـ لقد اشترينا المحاصيل من فلاحين ماريس والآن نقوم بتخزينها على أكمل وجه، واستطعنا أن نجد حلا مؤقتا لمشكلة الماء حتى يأتي المتخصصون، أما بالنسبة لبناء مدارس جديدة، فنحن خصصنا عدة أماكن لبناءها، وقد استعنا بمهندسين من ممالك مجاورة وقد شرعوا في التنفيذ.

ـ وماذا عن المكتبات ودور الثقافة؟

ـ نحاول أن نجد أماكن قريبة من الطلاب ليسهل عليهم الوصول إليها في أي وقت، لتشجيعهم على زيارتها من الحين للآخر.

ـ حسنا. احرصوا على تنفيذ تلك المشاريع في أقرب وقت ممكن، فقد انتهى عصر أداماريس المحتلة، وقد بدأ عصر ماريس المملكة التي ستشرق شمسها من جديد بالعلم والثقافة وقوة جيشها.

لنرجع بالأحداث قليلًا عاش سبعة أجيال في احتلال ألبيرتوس لأداماريس، وقد عانى الفقراء كثيرًا، وقامت ألبيرتوس بتجنيد الكثير من الشعب، ليدخل ضمن جيشها الكبير القوي، ولكن بدأت أداماريس بقيادة زعيمها الوطني أدريان أن يوقظ الناس من مرارة الاحتلال، واستغلالهم

لثروات المملكة، وقضائهم على الثقافة والعلم، فلم تتبقَّ إلا القليل من المدارس، وكانت تضم الأغنياء فقط من أداماريس، وبدأوا يجتمعون سرًا وبالفعل استطاعوا أن يستقلوا عن مملكة ألبيرتوس بعد انضمام رجال الجيش للأدريان، وإعلانه عدم ولاءه لمملكة ألبيرتوس وملكها ألبيرتوس الثالث عشر، وقد أفنى أدريان عمره في محاولة منه لإرجاع المملكة إلى حالها القديم بل وأفضل.

ذهب أدريان إلى ابنته بعد انتهاء الاجتماع

ـ حبيبتي إيميليا الصغيرة، أين أنتِ؟

كانت إيميليا مختبئة بجانب الفراش ولأنها قصيرة، فيمكنها الاختباء في أي مكان.

ـ أين أنتِ؟ لقد جلبتُ لكِ الحلوى.

فخرجت من مخبئها ضاحكة مهللة بالحلوى التي جلبها والدها فأخذها بين أحضانه ثم أعطاها الحلوى ووضعها على الفراش وجلس بجانبها وقال:

ـ ماذا كنتِ تريدين أيتها الفتاة المشاكسة؟

ـ لم أرد شيئا. لا لا.. لقد تذكرت يا والدي، لقد جئت إليك من أجل كتاب يبرق من الداخل.

ـ ماذا أيضيء؟

واستمر بالضحك..

ـ إنني لا أمزح يمكنك رؤيته لقد تركته على الطاولة بجانبك في غرفه المكتب.

ـ حسنا، سأذهب الآن لأتفقد شيئًا ما.

ـ حسنا.

تركها وذهب لمكتبه ولكن ليس بغرض الكتاب، بل ليتفقد عدة أوراق للمشاريع والمنشئات التي ينوي بناءها.

ولكن لفت انتباهه الكِتاب وأخذه ليتفحصه،وظهرت عليه علامات الاندهاش حين وجده مكتوب بالذهب والفضة.

وبدأ التساؤل عن ماذا يتحدث هذا الكتاب؟وأين وجدته إيميليا ابنتي؟ فتوجه إلي غرفتها..

ـ إيميليا.

ـ نعم أبي.

ـ أين وجدتي هذا الكتاب؟

ـ لقد وجدته تحت قدمي.

ـ نعم ولكن أين؟ أيمكنكِ التذكر؟

ـ على الضفة، وجدته على الضفة يا أبي.

وذهب شاردًا وتركها.

ـ إلى أين أنت ذاهب؟

ولكنه لم يستمع لكلماتها وذهب متوجها لغرفة مكتبه.. جلس على مكتبه وأمسك بالكتاب وبدأ يقرأ منه عدة صفحات فقد كان مهووسًا بالقراءة، ولكنه كلما ينتهي من صفحة يندهش ويتعجب أكثر لأمر الكتاب.

جاءت إيميليا له ولم ينتبه لها ولا لطرقها الباب، ولا حتى صوتها الصغير إلى أن وضعت يدها عليه فنظر بجانبه فوجدها فحملها ووضعها على المكتب.

ـ ماذا يا صغيرتي لماذا لم تنامي بعد؟

ـ انتظرتك تأتي لتحكي لي قصصًا قبل أن أغفو.

ـ وأين المربية؟

ـ لقد تركتها نائمة بجانبي وجئت.

ـ أجل أيتها الصغيرة المشاكسة، هيا لننَم الآن لقد تأخر الوقت.

وأخذها وتوجه نحو غرفته وبدأ يحكي ويسرد قصة لها ولكنها نامت توًا.. فجلس هو عند النافذة يفكر في أمر الكتاب إلى أن غلبه النوم، وتوجه لفراشه ونام بجانب صغيرته.

استيقظ في اليوم التالي، وارتدى ملابسه وحرص على عدم استيقاظ إيميليا، وخرج من الغرفة، وأغلقها ببطء وبحركة خفيفة وذهب ليتناول الإفطار بمفرده في هذا اليوم بدون إيميليا التي نامت متأخرًا ليلة أمس.

انتهى من الإفطار وتوجهه لغرفة مكتبه ليقرأ في الكتاب قليلا قبل اجتماعه بكبار الحاشية والمستشارين. صفحة وراء صفحة، وقرر الملك عرضه على أحد العلماء والمستشارين الذين يثق فيهم بدرجة كبيرة ليتوصلوا إلى هدف وغايه الكتاب..

جلسوا لساعات يتناقشون أمور المملكة، وخاصة أنها في مرحلة انتقالية بين احتلال وحكمًا مستقل، فالأمور لم تستقر بعد، وهناك العديد من الصراعات بين أبناء المملكة وبعضهم البعض.

وعندما وجد أدريان نفسه غير قادر على متابعة المزيد قرر إكمال الاجتماع غدًا، ولكنه ترك بعضًا من المستشارين واستدعى بعضًا من العلماء ليعرض عليهم هذا العجيب الغريب الذي وجدته إيميليا. وقف أدريان ومد يديه نحوهم بالكتاب وقال:

ـ ما رأيكم في هذا؟ أريد فقط نظرة مبدئية وما انطباعك الأول نحوه.

قال أحد العلماء بعد أن تفحصه في يديه لدقائق:

ـ إنه كِتاب نادر خاصة في ثقل وزنه، ومن المحتم أنه مكتوب من الذهب والفضة.

وقال أحد المستشارين:

ـ إنه كتاب قديم ولابد أنه كتاب ذو قيمة.

وأخذ الكتاب يدور عليهم ويتفحصونه ويتناقشون حوله. قال الملك وكأنه قد حسم الأمر، وخاصة أنه الوحيد الذي قرأ منه عدة صفحات:

ـ أنا أعتقد أن هذا الكتاب وما بداخله قد يكون مهما لدرجة جعلته يعيش حتى الآن في ظل الاحتلال والحروب والحرائق التي عانت منها أداماريس سابقا، سأكمل قراءته حتى أصل إلى غايته وكيف السبيل لتنفيذ ما يتحدث عنه خاصة لو كان ما يقوله هذا الكاتب صحيحًا.

فنظر إليه أحد العلماء وقال مخاطبًا إياه:

ـ قد يكون ما يحتويه الكتاب مفيدًا للمملكة وللشعب أتمنى أن يكون هكذا.

قال الملك:

ـ أنا أتمنى ذلك الأمر أيضًا، عندما أنتهي من قراءته سأعطيكم إياه لتعاودوا القراءة مرة أخرى ونعرف ماذا نفعل به، ولكن دون أن يعرف أحد بشأنه.

واستأذنوا للانصراف وتركوا الملك في غرفته شاردا يقلب صفحات الكتاب إلى أن أتى الملاك الصغير ليزيل شروده، وتركيز انتباه مع كلماتها الجميلة، ومداعبتها له ببراءة الملائكة الصغار.

ـ أبي ألن تأكل معي الغداء؟

ـ لا بالتأكيد، لقد كنت سآتي في الحال لولا أنكِ سبقتِ والدك.

ـ هيا إذن لأنني جائعة.

ـ هيا.

وأمسك يدها الصغيرة وتوجه لمائدة الغداء معها.

"إيميليا"

"ابتلع الليل الشمس، ولكنها كانت كبيرة الحجم لدرجه جعلته ينسى منها جزءا، وانشغل في مضغها وهضمها، ولم يبالِ بالجزء الذي أضاء السماء ليلًا، ليكون كمصباح مثالي وجميل زينت به غرفة كبيرة سوداء وهي الكون".

ونامت الأميرة الصغيرة في فراشها، كالملائكة تمامًا، تركتها وذهبت إلى المكتب وأخذت الكتاب وذهبت إلى غرفتي وتمددت على الفراش، وأسندت ظهري بإحدى الوسادات، ودخلت في خيال الكاتب وشردت معه، حتى انتبهت للضوء يأتي من الخارج، وها قد هل الفجر وأنا لم أنم بعد، لم يتبق إلا عدة صفحات، فتركته بجانبي وغفوت حتى أستطيع أن أكمل عملي بشكل جيد وملائم.

استيقظت على صوت صراخ الخادمات وطرق على الباب بشكل مستمر فاستيقظتُ سريعًا، ولم أستمع لأحد فقد توجهت لغرفه ابنتي وعقلي يعد خطواتي، ويرفض أن يحدث مكروه لها.

وجدت باب الغرفة مفتوحا فدخلت مسرعًا، ومتوجهًا ناحيتها، وإذا بالمربية تقف بجانبها، وتبكي، فصرختُ بأعلى صوتي:

ـ استدعوا الطبيب، ماذا تنتظرون؟؟

وأزلت الغطاء من على جسمها الصغير لأرى آثار مرضها تزداد بشكل جنوني، وكيف حدث ذلك بهذه السرعة، لا أعلم.

جاء الطبيب وباتت عليه آثار الحيرة والقلق وأنا أكاد أموت على ابنتي الصغيرة.. مرت عدة دقائق وأخيرا بدأ الطبيب تنبعث من فمه عدة كلمات.

ـ الأمر خطير أيها الملك.

ـ كيف تطور الأمر بهذه السرعة أيها الطبيب، لقد كان عبارة عن مرض جلدي، وقلت لي إنه يشبه مرضا كان يوجد منذ عدة سنين وليس له علاج ولكنك قلت أن هذا الاحتمال ضئيل، ويمكن للعلاج أن يأتي بتحسن ونتيجة وستشفى بالتأكيد أيها الطبيب.

ـ إنني فعلت كل ما بوسعي ولكن من الواضح أن المرض في طوره الأول والثاني يكون بطيئا لدرجة تجعلك تظن أنه مجرد مرض جلدي عادي وسوف يزال بالأعشاب، ولكنه عندما يباشر طوره الثالث ينتشر بالجسم كانتشار السم في البدن لا يمكنك تخليصه بسهولة، ولكنني سمعت أن هناك من يستطيع معالجته في إحدى الممالك المجاورة.

سأكتب لك اسم هذا الطبيب، ومكانه، وهذا الدواء يعمل كمسكن للآلام، لحين وصولها للطبيب، أعتذر منك أيها الملك، وأستأذنك بالرحيل.

ذهب وأنا قلبي يعتصر على ملاكي الصغير، لقد جئت بأمهر الأطباء ولكنهم لم يفيدوني بشيء، واقتربت منها ولم أخشَ العدوى فأنا لا أعرف إذا كان معديا في الأساس أم لا؛ جلست بجانبها وأمسكت يدها الصغيرة، وقبلتها، وأجهشت بالبكاء لدرجة جعلتني أتنهد وقلبي يرتعش، ماذا أفعل بدونكِ يا ملاكي.

وأمرت الخادمة أن تضع لها الدواء حتى يسكن ويستكين الألم، وتركتها وذهبت لغرفتي لأفكر ماذا أفعل، وهل هذا الطبيب الذي يقال إنه يعالج المرض يمكنه أن يعالجها؟

جلست على الفراش، واضعًا يدي على وجهي كمن أغلقت الأبواب كلها بوجهه دفعة واحدة، وقررت وأخيرًا أن أرسلها إلى ذاك الطبيب، وبدأت أرتب الاستعدادات جيدًا لكي تذهب براحة كبيرة ولا تشعر بألم فوق ألمها.

أُلغيت كل الاجتماعات وانتشر خبر مرض إيميليا في كل المملكة وأعلم أن حزن المملكة عليها لم يكن بالقليل فالجميع يحبها.

جهزت إيميليا للسفر، ولا أعرف أي الألمين أقوى مرضها أم بعدها عني، ولكن الألم كان يأتي على شكل سهام في قلبي، قوتي ضعفت واستكانت، وكأنني صرتُ عجوزًا لا يمكنه أن يسند نفسه بنفسه وصار كالمغلوب على أمره.

بكيت عيني عليها، وأنا أقبلها قبلة الوداع، وأمسك بيديها الصغيرتين، ثم أخذتها بين أحضاني لأشتم رائحتها، ولكن رائحة مرضها كانت قد غمرت رائحتها وغلبتها، وحملتها بنفسي ووضعتها على الفراش في العربة الملكية التي ستأخذها إلى مقصدها ولوحت بيدي مودعًا إياها.

"وذهبت إلى حيث ما أحببت".

اليوم عشرين من كانون الثاني، غدًا ذكرى موت حبيبتي، اليوم الذي تأتي فيه المراسيل لصغيرتي، في الحقيقة أنا من كنتُ أفعل ذلك، لتعرف إلى أي مدى كانت تحبها أمها، لتشعر بها مثلما أشعر بها بدون أي

مراسيل فقط لأنها بداخلي وشعورها أصبح شعوري منذ زمن، غرقتُ في الحب في سن الأربعين، وأنا الذي لم أحرك ساكنًا يومًا أمام امرأة واحدة، كنتُ منشغلا بالسياسة طوال حياتي، وجاءت لتشغل عقلي بها ولكن سرعان ما تركتني للسياسة مرة أخرى، طالما كانت دائما تغار من شغلتي الشاغلة، ولم أفكر يومًا أن أتركها فتركتني هي وحيدًا مع هذه السياسة اللعينة، ولكن إيميليا أشعرتني دائما أن هناك ما يستحق أن أعيش من أجله،

أحبكما كثيرًا..

"عهد جديد"

ذهب أدريان في اليوم التالي فجرًا إلى ابنته، لم يره أحد وهو ذاهب لأن الوقت كان مبكرًا، وقد ترك أمور المملكة لأجينيس أحد علمائه المخلصين، والذي وضع الملك كل ثقته فيه، وأغلق قصر أدريان إلى حين عودته، وأصبحت السلطة في يد أجينيس وعائلته.

تولى أجينيس أمور المملكة، كان الناس يرونه غريب الأطوار، فقد يتحدث إلى نفسه وهو يسير في الطريق، ولا أحد يعلم مع من يتحدث، وعائلته لم تكن أقل منه أبدًا.

سارت المملكة بشكل أغرب من قائدها، فكان يحدث أشياء ولا أحد يعرف الفاعل، تختفي أشياء وتحل محلها أشياء، تُبْنى مُنشآت ولا يبنيها أحد.

حال المملكة مريب للغاية، وكأن هناك من يسكنها غيرهم.

بدأ الناس يقلقون كثيرًا ويخافون من وقت حلول الظلام إلى أن يبزغ الفجر.

وأجينيس يتمتع بالحكم هو وعائلته بشكل مبالغ فيه، ولكن الغريب ليس ما يحدث في المملكة فقط ولكن هناك الأغرب أجينيس يقوم بتجميع كل الكتب في المملكة، يدخل البيوت بجنوده ويبحث عن الكتب بنفسه، كانت أغرب ما يمكن أن يحدث في أي مملكة.

ومرت السنون والناس كل يوم ينتبهون أكثر لتصرفات أجينيس حتى إن البعض أشاع أن المملكة ملعونة، ولم يأتِ أي زوار من خارج المملكة خوفًا من أن تصيبهم اللعنة.

يتحدث الناس مع بعضهم البعض بشأن ما يحدث، ولكن ليس هناك أي علم أو تفسير لما حدث للمملكة أثناء حكم أجينيس أو بالأبهى منذ أن تولى أجينيس الحكم في ساعاته الأولى حتى الآن.

كلما مر الوقت تحدث أشياء غريبة، لا أشياء مستحيلة، عقلهم يكاد يجن من كل ما يحدث بالرغم من أن المملكة لا ينقصها أي شيء، تكاد تكون من أغنى الممالك الموجودة في هذا العصر، ولكن أجينيس نفسه يثير تساؤلات الناس.

يقف أجينيس والهواء تحته ولا يوجد شيء يرفعه، الناس في حالة ذهول، تجمع كل الناس وبدأ يتحدث أجينيس ويخاطبهم:

ـ شعب ماريس وشعبي العزيز، كل ما تحتاجونه موجود، كل ما أريده منكم هو الطاعة، الطاعة فقط، ولا تنسوا أن عقابي لكل من يخالف القواعد عقاب يختلف كثيرًا عن أي مملكة، قد أجعل الدود يأكله أمامكم وهو حي، وقد أجعل الأفعى تلتف عليه وتعتصره حتى آخر نقطة من دمه، أو أجعل الحشرات تتسلل إلى فمه وتأكل أمعاءه وأعضاءه بالداخل، لا تثيروني ولا تغضبوني، كونوا أوفياء نتيجة كرمي لكم، ولا تجعلوا شري يصل إليكم وإلا بالفعل لأجعلن تلك الجنة جحيما فوق رؤوسكم أيها الأغبياء، فلتحترموا وتتذكروا معروفي عليكم دائما.

وهكذا صار حال المملكة، كل ما عليها مخيف وخارج عن قوانين الطبيعة، يتوهمون أن أدريان سيأتي ينقذهم من هذا الوحل، هذا آخر أمل لديهم.

لم يسعَ أهل المملكة ليعرفوا حقيقة ما يكون عليه أجينيس ولكنهم ظلوا قابعين في أماكنهم والجبن يأكل قلوبهم، والاستسلام رائحته تفوح من كل بيت داخل المملكة.

أجينيس بدأ يتمادى في تصرفاته وعقابه وكل ما يحدث داخل المملكة وأطماعه تتزايد يومًا بعد يوم، يتجرع طاعة الشعب له، ويزداد جبروتًا وتكبرًا.

"أنت من تصنع فرعونًا بيديك".

يسقيه الشعب خوفًا وجبنًا وطاعة فيسقيهم خيبة ودماءً ودموعًا وهمًا وفقدانًا.

لا مزاح لديه في عقاب أحد حتى على أبسط الجرائم والأخطاء.

حالهم حزين، فأين أنت أدريان لتنجيهم، مثلما أنقذتهم من الاحتلال، يا من ذهبت وتركت لشعبك شخصًا المرض أكل قلبه، والجبروت ملأ عينه، فأصبح يحب أن يرى الضعفاء وتزداد قوته أكثر فأكثر.

أجينيس يزداد في ظلمه، والطمع أعمى عينه وقلبه، وأصبح يتطلع لسلطة أعلى.

أريد أن أحتل العالم، أريد أن أجعل الجميع تحت خدمتي وولائي، وما سبيل غيرك لترفعني لأعلى مكانه، سأدعس كل من يقف أمامي، إنني

أعظم الملوك، ولا يمكنني أن أجعل الجميع يخضع لي إلا بعد أن أجدك أيها الكتاب اللعين.

وأخذ أجينيس يضحك بصوت عالٍ، والشر يتطاير من عينه، يجلس وحده في غرفة مضيئة باللون الأحمر، مفروشة بجلود الماعز، ومنثور على الأرض قطع تلمع، تشبه الجواهر، لونها أحمر، وهناك رف على الحائط عليه بعض من الكتب القديمة وبعض من الكتب الحديثة بعض الشيء وأوراق بشكل عشوائي ومبعثر.

يجلس على كرسي غريب الشكل، مزخرف بكل ما ما تتخيله عينك من أحجار كريمة ولؤلؤ ومرجان.

يجلس في تلك الغرفة لساعات طويلة، ويدير المملكة من خلال تلك الغرفة.

استيقظ أهل المملكة في الصباح ليجدوا بعضًا من جنود أجينيس ينادوا بأن يتجمع الجميع عند الساعة العاشرة صباحًا في ساحة المملكة.

وقف أجينيس كعادته على الهواء، يلقي خطابًا فيه بعض من الوقاحة والتودد..

"أشواك"

ـ أيها الشعب اللعين، إنني أبحث عن شيء قد يكون في إحدى أغراضكم، أو غبي يظن نفسه ذكيًا يتلاعب معي، ويحاول إخفاءه عن عيني، ولكن إن جاء وأعطاني إياه، سأكافئه مكافأة لم يحلم بها أحد من ذي قبل، أما إذا حاول إخفاءه عني سأقتله بطريقة لم يحلم بها، ولم يسمع عنها قبل ذاك، فعاونوني، وقفوا بجانب حاكمكم الذي بسط لكم المملكة وردا، وأنتم تعلمون أن الورد مهما كان جميلًا لن يخلو من الأشواك.

رحل أجينيس ورجاله وأهل المدينة يتحدثون حول ما يبحث عنه الملك، وما الذي سيفيده من هذا الشيء، ويعرفون جيدًا إن لم يجد ما يبحث عنه، فسوف يبطش بشعبه ويطيح به كل ما يقدر عليه من أسوأ العواقب، والغضب الشديد.

واهتم البعض بالمكافأة، وأغرتهم نزواتهم، ووسوس لهم الشيطان بحجم المكافأة، فقرروا البحث عما يريد بكل جهدهم، وجرت عملية البحث على قدم وساق في كل أنحاء المملكة، سواءً من أعوان أجينيس ورجاله، أو من الطامحين بالمكافأة ولنقل الطامعين أنسب، والباقي يساعد خوفًا من بطش أجينيس وجنونه.

وهنا انقلبت المملكة إلى أرض للتنقيب والبحث، وكأنهم ينقبون عن بترول أو كنز.

يا لها من سخافة في وجهة نظر بعض الشعب، ولكن بالنسبة لأجينيس فيعتبر هذا الكتاب مسألة حياة أو موت، سوف يحدد مصيره هو وعائلته وحكمه اللعين.

قيدت حرية الشعب وكأن موطنهم سجن لأرواحهم، ومقبرة لأعمارهم، قد تكون مليئة بالخيرات، ولكن كل ما يأكلونه ليس له مذاق ولا طعم، إنه كالمبسوس بالسم، وما الفائدة من الخير في بلد الظلم والاستبداد والحرمان من الحقوق وتذوق طعم الحرية التي جاعها الشعب منذ هذا العهد اللعين والذي طفح الكيل من أشواكه التي رسخت في كل مكان في قلوبهم، فهذا أب قتل ابنه لأنه خالف أوامر أجينيس، وتلك أم ماتت ابنتها التي كانت تخدم عند أجينيس في قصره ولم تعلم سبب موتها أو بالأبهى قتلها، وهذا أخ وجد أخاه مقتولا وملقى في إحدى الزوايا في المملكة، عثر عليه الناس، وظهرت عليه علامات السم الذي تسرب لعروقه لسبب قد يكون مجهولًا.

تحولت لغابة، الجميع يبحث عن كتاب ليس له وجود، إنها أكذوبة من أكاذيب أجينيس اللعين ليستبد بالحكم، ويبطش في شعبه بحرية أكثر، والذي زاد الأمر سوءًا أن الجميع الآن يحاربون من أجل البقاء، حرب الكل ضد الكل، يبحثون دون قيد أو شرط، والضعيف تدعس عليه الأقدام بلا رحمة أبدًا، وهكذا استطاع حاكم ماريس أن يقلب حال المملكة لصالحه، ويجعل الفقراء مجرمين ليجدوا الكتاب من أجل تلك الجائزة اللعينة.

وهذا أدريان الذي ذهب لابنته ولم يبالِ بشعبه، بالتأكيد أنه سمع عن أحوال المدينة، ولكنه قد حجب أذنيه وامتنع عن السماع، ليس خشية من أجينيس هذا، ولكنه سئم الحروب والسياسه والجيش، وعاش مع ابنته بعد تعافيها في أمان وسلام، ولكن هل نسي ما فاضته تلك الأرض له من خيرات، ألم يبنى جسده من ذرات ترابها التبر والجوهر والزعفران، أنسي فضلها لينعم بالسلام وأهله في قاع الوحل، وفي مواجهة الرياح وأظهرهم عارية.

وقف على غير عادته في منتصف الساحة يناشدهم:

ـ أين وصل باحثو مملكتي عن الكتاب؟

رد أحدهم وهو في خوف شديد:

ـ قد تكون معرفتنا باسم الكتاب ستساعدنا أكثرفي البحث عنه.

نظر إليه غاضبًا.

ـ أهذه الأخبار التي جئت لأسمعها، إن أنزلت غضبي عليكم ستندمون جميعًا.

وأمر بسجن الشخص الذي تحدث إليه وها هي بودار العاصفة الجديدة، وموجة بطش كتسونامي سوف تدمر كل ما في طريقها.

"الروح الزائفة"

تحرك عينها في كل الاتجاهات، الاندهاش يصافح وجهها مثلما تصافحه الرياح، تتأمل كل ما حولها بعناية، تسمرت مكانها وأخذ عينها بريق الروعة، وتعكس جمال المدينة، وحزنها الكمين، كيف بنيت هذه القلاع والقصور والبيوت، يا له من جمال، من بناها يا ترى؟؟

إن أهل تلك المدينة محظوظون، يكفي أن يستيقظوا كل يوم، ويروا إشراق الشمس الذي ينعكس على القصور وألوانها فيبرقها كبرق شديد في سماءٍ صافية.

معجزه.. إن تلك الأرض كمعجزة، حتى اللون الأخضر الذي ينبع من كل اتجاه يشعرني أنها جنة خضراء على قوس قزح.

وجاءت إحدى الفراشات على يدها وفتنت بجمالها المبهر، وظلت تنظر عليها كعاشقة تتأمل معشوقها وأخذت تكلم الفراشة بصوت هامس وكأنها تفهمها وتفهم لغتها.

- جمال المملكة ينعكس عليكِ أيها الفراشة، أو قد يكون جمالك هو الذي انعكس على المملكة فأعطاها تلك الألوان الزاهية وهذا البريق الذي لا يضاهيه شيء أبدًا.

كادت أن تقع ولكنها جثت على ركبتيها، وحمت جسمها من السقوط كليا، فانتبهت أن الفراشة طارت بعيدًا، واختفت عن ناظريها، وانتبهت

للازدحام حولها، وأخذت بالها أنها تقف عند مشارف بوابة المدينة، ولابد أن تتحرك في أي اتجاه، تاركة هذا الازدحام وراءها.

اندهاشها بشكل وهيئة المملكة وملابس أهلها حتى قد أفقدها التركيز في أي شيء آخر.

أشعر وكأنني نسيت ذاكرتي لساعات وساعات، ودفنت هويتي بعيدًا لمكان أجزم أنني لا أعرفه، لقد حلقت في عالم خيالي، وروعة المملكة قد ساعدتني في ذلك، أو قد يكون سحرًا سحرت به، لا إنها كتعويذة خرافية سحرت عيني، وسحبتني إلى المدينة، وجعلتني أحبها قبل أن أعرفها أو أختلط بشعبها، أشعر بالحنين إلى الوطن وترابه ورائحته، كالمغترب تماما الذي لامس وطنه بعد غياب طويل.

تحركت قدمي لاتجاه لم ألاحظه، كانت عيني من تسير وليس أنا، دخلت أحد الشوارع كالمبهورة بكل ما تعنيه الكلمة، أنظر هنا وهناك، وأمتد ببصري لأرى المنشآت إلى أين وصلت للسحاب، كدت أن أنزلق وأنا أنظر بأعلى بصري لأحد المباني العالية الذي لونه أحمر لذلك خطف بصري، ولكنني كدت أقع وشعرت كأن يدًا أمسكت بي، وجعلتني أتوازن بسهولة، لم أرَ أحدًا بجانبي، ولكنني أقسم أن هناك من ساعدني، لا هذا غير معقول إنني أتوهم، لا هذا خيال.

وتوجهت ناحية هذا البناء الأحمر الغريب، وسألت أحد المارة عن ماهيته فقال لها بصوت منخفض كالهمس:

ـ لا شأن لكِ بهذا، إنه من أبنية أجينيس، من الواضح أنكِ غريبة عن هنا، إذا أردتِ أن تعيشي بسلام فالتزمي الصمت.

وتركها وذهب دون حتى أن يعير لكلماتها التي كانت على طرف لسانها، ولكنها أغفلتها لتتعجب الكلام!

وأكملت سيرها بين الناس القلائل في الشوارع، وتوجهت بسؤال لإحدى السيدات:

ـ كيف يمكنني أن أصل لمجلس المدينة؟

ـ إنه على قرابه خمسة بيوت على الجانب الأيسر.

ـ شكرًا لكِ.

وقفت أمامه واستدلت عليه بسهولة من هيئته وشكله الذي يختلف عن هيئه البيوت والمباني من حوله.

مبنى أسواره مرتفعة بعض الشيء، يتردد عليه زائرون بين الحين والآخر، بوابة مفتوحة على آخرها، لونه يميل إلى الرمادي ويتداخل معه درجة من درجات البني، ولكنه يعطي للناظر إليه شعور الوقار.

تقدمت بأولى خطواتي إلى الداخل، ببطء، أنظر حولي بشيء من التأمل، وعبرت طرقة يحاوطها الأخضر من الجهتين، مدخل يليق بالمبنى حقًا، تقدمت إلى بوابة أخرى كانت مفتوحة أيضا ولكنها كانت أصغر حجما، عندما دلفت للداخل وجدت أحدًا ظهر لي فجأة أرعبني وتوقف قلبي لبرهة ثم عاد ليدق كقطار مسرع للغاية، حاولت استرجاع توازني مرة أخرى، وكنت على وشك الكلام، ولكنه سبقني بصوته الجهوري العالي:

ـ ماذا تريدين؟

ـ جئت من أجل توفير مكان لأعيش فيه هنا؟

ـ حسنًا، تعالي ورائي.

وأخذها إلى غرفه كبيرة تشبه القاعة، وطرق الباب وتقدمت بالدخول وأغلق وراءه، فانتفضت من صوت غلق الباب ورائي، ودخلت وأشار لي أحدهم أن أجلس على أحد المقاعد، وجلست دون تفكير حتى قد يكون هيبتهم أنستني ما جئت من أجله.

وتقدم أكبرهم بالسن وكان ذا لحية بيضاء ووجهه كان بشوشًا بسؤالي:

ـ ما طلبك يا فتاة؟

ـ إنني لستُ من المملكة وجئت لأعيش وأستقر هنا كطبيبه ولم آتِ إلا بعد أن تأكدت أن المملكة ستوفر لي مكانًا لأعيش فيه، وأيضًا عملا أعيش منه.

ـ كلامك صحيح، ولكن إن جئتِ إلى هنا لا يمكنك مغادرتنا إلى الأبد، مسموح بالزيارت إلى الخارج بين الحين والآخر، ولكن مهاجرة المكان، لا ليس مسموحا فخذي وقتك بالتفكير يا ابنتي.

ـ إنني أريد العيش هنا وقد قررت ذلك بعد تفكير.

ـ حسنًا سيأخذك أحد من العاملين هنا ويوصلك إلى بيت ليكون مأوى لكِ، وسيدلك على مكان عملك بالطريق وكل ما تريدينه.

ـ أشكرك جزيلا.

وأومأ لها رأسه في عظمة بدون كلمة واحدة.

مشيت مع هذا الشخص الذي تحدث عنه وفجأه أشار لي بيده وقال:

ـ هذا مكان عملك، مستوصف أجينيس الثالث عشر. والعمل سيبدأ بعد أسبوع من مكوثك هنا إلى حين معرفتك بالطرق والأماكن.

شوارع المدينة كلها جميلة ليس هناك شارع يتميز عن الآخر، وبعد عدة شوارع قليلة دلفوا إلى بيت كادت تجن من جماله، صحيح أن كل البيوت هنا جميلة إلا أنها لم تتخيل أن تعطيها المملكة بيتًا بهذا الجمال قط!

وأعطاها المفاتيح على مقدمة باب المنزل، وذهب. نظرت وراءها تتأمل جمال حديقة المنزل، ثم عادت لتنظر على الباب الذي أمامها كالقطعة الأثرية المزخرفة، وتمكنت من فتحه، وما إن دلفت للمنزل حتى انبهرت بكل ما حولها، وروعة الأثاث، وجمال الحوائط حولها، وكل شيء منظم ومجهز بداخله، وكأنه مُعَد خصيصا لها، فيحتوي على كل ما تحبه.

دخلت غرفة نومها وفتحت حقيبتها لتأخذ منها بعض الملابس المريحة بعض الشيء، لتغفو قليلا وترتاح من السير.

وما أن لبثت على الفراش حتى شعرت وكأن كل جزء من جسمها يصرخ من الألم، فلم تنتبه له طوال الطريق، واندهاشها بالمملكة جعلها لا تركز إلا على كل ما حولها، وتنسى نفسها تمامًا.

سمعت صوت ديك يصيح في الفجر، فانتبهت أنها نامت كثيرًا، وكأنها كانت فاقدة للوعي، فاتجهت ناحية المطبخ، لعلها تجد ما تأكله، بالرغم من أنها تعرف أنه مستحيل أن تجد طعامًا.

ولكن الغريب في الأمر أنها قبل أن تتوجه إلى المطبخ، وجدت على الطاولة كل ما تحبه من الطعام.

وقفت مصدومة، تتأمله، فركت عينها، لتتأكد أن ما يحدث ليس حلمًا، ولكنه لم يكن حلما، قد كان حقيقه أشبه بأحلام اليقظة، فاقتربت وجلست على الكرسي بجانب الطاولة، وبدأت تتذوق بعضًا من الطعام الموضوع عليها، كانت جائعة لدرجة جعلتها تأكل دون أن تشعر بأي شيء، والطعام كان لذيذا، مما جعلها تلتهمه بشراهة، وتملأ بطنها من كل الأصناف التي تحبها والتي لا تتحمل أن تقاومها.

ثم خرجت تجلس في شرفة المنزل لبعض ساعات حتى تشرق الشمس، وتخرج لتتجول في شوارع المملكة.

"الصمت المؤقت"

كانت شوارع المملكة كعادتها، غير مزدحمة، فالسكان ليسوا بالكثيرين، ولا حتى مساحة المملكة كبيرة، لذلك يطلق عليها مدينة في بعض الأوقات.

مشيت هي كعادتها أيضًا تتأمل كل ما حولها ولكن الانبهار قد قل بعض الشيء، قد يكون بسبب عينها باتت تتعود على كل ما هو غريب منذ أن طرقت قدمها هذا المكان، والأغرب من غريب أنها تشعر وكأن بجوارها مُرافقا، أحدًا يؤنس وحدتها منذ أن ماتت المرأة التي ربتها وعاشت معها كأمها، وبعد أن ماتت ومات زوجها قبلها بعده سنوات، اضطرت أن تأتي لماريس لتستقر بها كسبب ظاهري فقط.

وصلت للسوق، وسارت بين السكان كواحدة منهم، وأخذت تبتاع بعض الخضروات والفواكه التي تحتاجها، وحملتهم في يديها، وقررت أن تعود للبيت حتى لا تحمل تلك المشتريات وهي تتمشى، وقررت أن تعود بعد أن تغرب الشمس وترى المدينة في ظلامها.

وهي في طريقها للمنزل، رأت شيئًا غريبًا، رجلان مرتديان زيًا واحدًا باللون الأحمر، نظرت إليهم في غرابة، وقد ساورها الشك أنهم من رجال أجينيس الذين سمعت عنهم من قبل.

وعندما نظرت وراءها بعد أن تعدتهما وسارت عنهم بضع خطوات، وجدتهم يطرقون أبواب المنازل، وكأنهم يبحثون عن شيء، لم تعلم ماذا

يفعلون، ولكنها تذكرت مقولة ذاك الرجل "إذا أردتِ أن تعيشي بسلام التزمي الصمت"

بالرغم من الأمور الغريبة التي تحدث حولها إلا أن نفسها أعجبت بشدة بنظام المملكة في شوارعها، وبيوتها، لم تعلم أن النظام هنا يحل على الشعب فقط، ولا نظام بتاتًا في حكم أجينيس وأحكامه وعقابه، وخاصة عندما تستيقظ موجة غضبه.

دخلت المنزل وجلست على الأريكة، وتنفست الصعداء، ومددت قدميها ببطء وشعرت بالألم ولكن ليس مثل ليلة أمس، فقط كان ألمًا محتملًا.

وظلت تتذكر أشياءً كثيرة بذاكرتها قد سجلتها بذهنها جيدًا، خوفًا من نسيان أي تفاصيل قد يجعلها ترجع خطوة للوراء، والنزول في بحر شاسع العمق، والبحث عن المجهول.

تعلم يقينًا أنه لا يمكن تسجيل أي شيء في دفتر أو أوراق، بهذا الفعل وكأنها ترمي بنفسها داخل الوحل بين الأفاعي السامة.

ولكن الشيء الوحيد التي لن تستطيع فعله مهما حاولت هو التزام الصمت، لابد أن تعرف كل شيء وكل ما يدور داخل المملكة وبأسرع وقت ممكن، ولا يمكنها معرفة شيء بدون التواصل مع سكان ماريس عامة، والمغلوبين على أمرهم خاصة.

وعندما دقت الساعة السادسة، ارتديت ملابسي وعزمت على الخروج، انتبهت لشيء غريب بعدما بدأ يتلاشى ضوء النهار كليًا ويحل الظلام شيئًا فشيئًا.

مملكة بهذه الهيئة، والشكل، والنظام لا يوجد بها مصابيح لتنيرها ليلًا، والأغرب أن الجميع يهرول إلى منازلهم، بينما أنا أسير ببطء شديد، أتأملهم ولا أعلم ماذا أفعل.

وبدأ الناس يتلاشون من حولي، وفجأة صرت وحدي في هذه الشوارع ذات الظلمة الموحشة، ولكن من حسن حظي أن القمر كان بدرًا، واستطعت التوجه نحو منزلي.

ظهر أمامي من بعيد شيء غريب، ليس مألوفا أبدًا..

وخيالات الأشجار حولها تتحرك كالأطياف، وحفيف أوراقها يبعث في داخلها الخوف، وأصبح كل ما حولها مفزعا، وأخذت تتعالى أصوات حفيف الأوراق، والشجر يتحرك بطيش، وصوت عويل ينبع من جميع الاتجاهات وكأن الأرض من تحتها هي من تصدره، أو قد تكون الأشجار، توقف الدم في عروقها، وتسمرت مكانها، والقشعريرة لا تغادرها خاصة عند صوت صراخ الأشجار يندفع كالفيضان، شعرت وكأن العرق يهطل كالأمطار، قدماها لا تحملها، ولا تستطيع أن تفكر في أي شيء، حركتها وإرادتها قد شلت تمامًا.

وصلت للبيت وأغلقت الباب وراءها، وهي مرعوبة وتوجهت للفراش ورمت نفسها فوقه وأخذت تفكر فيما حدث.

كادت أن تفقد وعيها، إلى أن شعرت وكأن أحدًا يحتضنها، ويحيط بيديه حولها، وبدأت تشعر بالأمان، شيئًا فشيئًا وانتهى كل شيء رويدًا، واستعادت بعضًا من قوتها وأسرعت مهرولة ناحية منزلها.

وفي تلك اللحظة تنفست الصعداء، وكأن حياتها كادت أن تنتهي، ولكنها أُنقذت ولا تعلم من أنقذها، ولكنها كانت ممتنة أنها استطاعت الرجوع سالمة.

غفت على الفراش من كثرة التعب، ولم تشعر بنفسها إلا في الصباح، عندما بدأت تسمع أصوات السكان والحركة.

جلست على الفراش تفكر فيما حدث أمس ولتربطه بما قاله زوج مربيتها والذي كان بمثابة والدها تمامًا.. وهنا بدأت تعرف بعض الأشياء عن المملكة، وتستنتج أشياء أخرى.

مر الأسبوع سريعًا، وبدأت في عملها، في ذاك المستوصف، الذي يضم عددا قليلا من الأطباء، كانت هي وثلاثة فقط معها، كانوا يتعاونون مع بعضهم البعض، ويتناقشون بخصوص الحالات، حيث كانت تأتي للمستوصف حالات غريبة بعض الشيء، لم تستطع تفسير سبب مرضها، أو كيف حدث ذلك، والأغرب أن الأطباء التي تعمل معها لا تسأل عن سبب الجروح والحوادث، كانوا يكتفون بالمعالجة سريعًا، صحيح أنها رأيت في عينهم رغبتهم لمعرفة السبب، إلا أنهم لا يتحدثون بهذا الشأن فقط يتناقشون في طرق العلاج والشفاء.

مرت أيام وشهور وبدأت تتأقلم مع عادات وقوانين المملكة، وتعرفت على البعض وأحبوها كثيرًا، واستطاعت أن تعرف من أهل المملكة

الكثير وخاصة كبار السن، والسكان الذين عاصروا حكم أدريان لماريس، وذلك من خلال عملها، فقد كانت كانت تضطر للذهاب للمنازل للحالات الطارئة، والذين لا يمكنهم المجيء للمستوصف.

وقد شاهدت حتى أجينيس وهي كانت في الساحة ذات مرة، وسمعت خطابه للناس، وكيف يعامل شعبه بالخوف والفزع، صحيح أن المملكة كالجنة، ولكنها بوجود أجينيس هي كالجحيم.

بدأت أبحث في كل مكان، أريد أن أصل للحقائق التي يحاول أجينيس هذا إخفاءها عن الجميع.

تعلمتُ الكثير من أهل المملكة، ومن ودهم وطيبتهم التي تشبه لأبي كثيرًا وخصال أمي الحنون، شعرتُ بالأنس حولهم، وبالرائحة التي أفتقدها كثيرًا والتي تشبه رائحة أبي الملك، والتي ترافقني في كل مكان منذُ أن وضعت قدمي على عتبة المملكة.

عرفتُ أماكن المكتبات، والأفضل من ذلك أن أهل المملكة لا يترددون كثيرًا إليها، أعلم أن هذه ليست ميزة، ولكنها ميزة بالنسبه لي، لأنهم يعلمون أن الكِتاب الذي يبحث عنه أجينيس ليس هناك، وأجينيس لم يعطِ اهتمامًا كبيراً للمكتبات تلك، وكان منشغلًا فقط بالبحث عن كتاب كُتب بالذهب والفضة، وبالتأكيد لا مكان لوجود كتاب كهذا في تلك الأماكن.

كنت أتردد معظم الأيام للمكتبة الكبرى بالمملكة، وانتبهت لوجود أحدهم كل يوم، أهذا لا يغادر المكان أبدًا، كان رجلًا كبيرًا، شايب الشعر، عليه علامات الوقار.

يبحث عن كتب معينة، دائما أنتبه للكتب التاريخية في يديه، لم أشعر أنه يمل أبدًا من القراءة، حتى إنه بات معروفًا في المكان وكأنه صاحبه، وذلك بسبب كثرة تردده على المكتبات، وسمعت أحدهم يسأله في شيء ويلقبه بالعم أنطوان..

من يكون هذا العم أنطوان يا ترى وكان ينظر لي بين الحين والآخر من خلال نظارته التي زادته وقارًا وعظمة ويحملق النظر إليّ وكأنه يعرف ما جئت من أجله.

وفي يوم من الأيام كنت جالسة وفي يدي أحد الكتب والتي تتحدث عن أداماريس، وكيف كانت واحتلالها... إلخ، ولكني انتبهت أن أحدهم جلس على المقعد الذي بجانبي، فالتفت بعيني لأرى من يكون، ففوجئت به...

إذا بالعم أنطوان جالس بجانبي وينظر لي، فاتجهت بجسمي إليه وتركت الكتاب من يدي، وعندما شرعت في التحدث:

- عم أنط...

"معرفة مسبقة"

ـ كيف حالك يا فتاة؟

ـ أنا بخير، وترددت في قول إن كان يعرفني أم لا ولكن أخذتني الشجاعة وقلت:

ـ هل تعرفني؟؟

ـ في زياراتي لبعض المكتبات كنت أراكِ، فكيف لي ألا أعرفك.

ـ نعم معك حق، أنا كنت أراك دائما أثناء زياراتي، حتى من الواضح أنك تقضي كل وقتك في القراءة أو ربما البحث عن شيء.

ضحك ضحكة باتت كسخرية..

ـ لا أنا لا أبحث عن الكتاب الذي يريده هذا المجنون أجينيس.

نظرت له بغرابة:

ـ ألست تخافه مثلما يخافه أهل المملكة؟

ـ ولماذا أخاف منه، أجينيس لا يمكنه أن يؤذيني يا إيميليا.

احتل الاندهاش وجهها ولم تتكلم كلمة واحدة، فقط اختارت الصمت.

ـ يا ابنتي إيميليا، ألا تتذكرين عمك أنطوان.

ـ وكيف عرفتني؟؟

ـ يا ابنة أدريان الغالي (قالها بصوت منخفض بعض الشيء) بالطبع أعرفك وأعرف جيدًا الشامة التي في رقبتك.

وضعت يديها تتحسسها، كانت تخبئها احتياطيًا بما ترتديه ولكن قد تظهر في بعض الأوقات فقط، فلا أحد يعلم بها إلا من كان يجلس مع أبيها معظم الوقت.

ـ ولكن يا ابنتي، أين صديق عمري ألم يأتِ معك؟؟

ـ لا أعلم شيئًا عنه.

ـ كيف وهو سافر في اليوم التالي لكِ؟

ـ لا لم يأتِ لي ولم أره منذ أن كنت في السادسة من عمري ولكنني أتذكره جيدًا.

ـ تعالي معي لنتحدث في مكانٍ أكثر أمانًا من هذا.

ومشت وراءه ودلف إلى أحد المنازل المتطرفة بعض الشيء عن المملكة، وتبعته.. وعندما دخلت المنزل وجدته غريبا بعض الشيء، وأشار بيديه فوضعت كتبًا كثيرًا مرصوصة أمامهم. اندهشت منه، أهو ساحر أم ماذا يكون هذا الرجل؟؟ وقال لها:

ـ اجلسي لنتحدث.

فجلست وقال لها:

ـ بعد أن ذهبتي من هنا وفي اليوم التالي توجه أباكِ إليكِ فجرًا، حتى لم يودعني ولم أره، كل ما أعرفه هو أنه ذهب باكرًا، وترك الحكم في يد

أجينيس، ولأنني أعرف أباكِ جيدًا، أعلم أنه كان يثق في أجينيس ولكن ليس لهذه الدرجة، ليس لدرجة أن يأمنه على حكم شعبه، بهذه السرعة.

ثم أردف بأسى كبير ظهر عليه:

ولكن إن لم يأتِ أدريان إليك، أين سوف يكون ذهب.

ـ كان زوج مربيتي، وحارسي باسل الذي أرسله معي والدي، يخشى أن يرسلني إلى ماريس مرة أخرى، لقد شك في عدم وصول أبي لي، وقد علم من أحد زملائه أن أبي توجه إلينا، وأجينيس هذا تولى الحكم، لقد رباني هو وزوجته كأنهما أمي وأبي، لقد علماني كل شيء، وحكيا لي كل ما يعرفانه عن ماريس..

وأردفت بحزن:

ـ وبعد أن توفوا قررت أن أترك هذا المكان، وأعود إلى وطني، كي أبحث عن أبي، وعن الكتاب الملعون الذي وجدته منذ زمن، ولكن لا يمكنني أن أتذكر اسمه، لقد كنت صغيرة عندما وجدته.

فنظر إليها الرجل وقال:

ـ لا يمكننا الوصول لاسم الكتاب ولا نعرف إذا كان يعرفه أجينيس أم لا..

ـ إذن كيف سنصل له؟؟

ـ من خلال ما نعرفه عنه، قد يكون يكفينا..

وأردف كلامه بحزم:

ـ إن وصل له أجينيس سوف تكون نهايتنا.

ـ أعلم ولذلك جئت لأنقذ مملكتي ولأبحث عن أبي.

ثم وقف واتجه صوب النافذة فإذا بحمامة تقف علي يديه، همس لها وذهبت بعيدًا.

ـ لابد أن تعرفي باقي الفريق الذي يريد أن يحمي المملكة من يد أجينيس، ولأن كل شيء سري، فهم لا يأتون إليّ إلا عندما أريدهم فقط، يمكن ألا يتخفوا عن الناس، ولكن أتباع أجينيس في كل مكان، ولابد من الحذر.

وبعد قليل طرق أحد الباب، ودخل إلى المنزل بعد أن سمح له العم أنطوان..

ـ هذا سينا تاجر في سوق المدينة.

وسينا شاب في الثلاثين من عمره، ولكنه يتميز بشعبية كبيرة بين أهالى ماريس، وبأمانته لذلك يحبه الناس.

صافحته بيدها وابتسمت له، فابتسم لها وقال:

ـ شكرًا لشجاعتكِ يا فتاة.

وطرق الباب أحد آخر وكانت امرأة فتعجبت إيميليا وأخذ يدور في خاطرها مدى شجاعة هذه المرأة، وحبها للمملكة ولكن قاطع أنطوان شرودها بقوله:

ـ هذه إيميليا يا مارين، مارين معلمة يا إيميليا في إحدى مدارس أجينيس.

ـ تشرفت بيكِ مارين.

ـ وأنا أيضًا إيميليا، ماذا تعملين هنا في ماريس؟

ـ إنني طبيبة، وأعمل في مستوصف قريب من هنا.

ـ أجل أجل، ولابد أنكِ ترين بعينك كل ما يحدث.

ـ ماذا يحدث؟

فقاطعهما أنطوان:

ـ إيميليا مازالت حديثة هنا في ماريس، ولا تعلم إلا القليل من بين الكثير والكثير.

ـ ولكن كيف ستساعدنا؟!

قالتها مارين وهي تنظر له باستغراب وذلك لأن أنطوان اختارهما بعناية فكيف يثق في شخص حديث ولا يعرف عما يدور في المملكة.

أجاب أنطوان بحزم:

ـ ستعلمون بعد قليل..

ودخل أحدهم دون طرق، فالباب كان مواربًا، ووجهه كان مألوفا جدًا بالنسبة لإيميليا، ووقفت تحدق به، وفجأة تذكرت من يكون فكيف لها أن

تنسى هذا الوجه، ما الذي أتى بهذا الرجل إلى هنا، أعلم بأمرنا واكتشف ما جئنا من أجله؟ أم أرسله أجينيس؟ ماذا سيحدث فينا الآن يا ترى؟؟

واقترب شيئًا فشيئا وإيميليا لا تعلم ماذا تفعل، وبدأت علامات التوتر تظهر عليها، حتى مد يديه ليصافحها، فرجعت للوراء خطوتين، وحدقت عينها بعينه، والعديد من الأسئلة تدور في ذهنها.

ولكن أدالريكو قاطع شرودها سريعًا:

ـ أهلًا بالطبيبة.

وعندما لاحظ أنطوان توترها، تدخل في الحوار وقال:

ـ إيميليا يا ابنتي، بالتأكيد تتذكرين رئيس مجلس المدينة.

فقالت إيميليا:

ـ بالتأكيد أتذكره، إنني قابلته أول يوم مجيئي هنا.

ـ حسنًا تبقى شخص واحد.

وفي تلك اللحظة انتبه لأحد يقف وراءه ويقول:

ـ نعم سيدي..

ـ بني، متى جئت؟؟

ـ في تلك اللحظة.

ونظر لإيميليا باستغراب:

- أيوجد هنا ضيف جديد..

ـ لا في الحقيقه ليست ضيفة، أعرفكِ بابني رونان وهو حارس من حراس أجينيس، أعرفك بإيميليا أتتذكر هذا الأسم..

ـ دعني أفكر قليلا

حك بأحد أصابعه رأسه وكأنه يفكر، وينظر في نفس الوقت لإيميليا التي لم تستوعب الصدمة بعد وأن أحد رجال أجينيس بينهم، وليس ذلك فقط إنه ابن عم أنطوان. وقال بعد تفكير:

ـ لا لا يمكنني التذكر.

فقال لهم أنطوان أن يتفضلوا جميعًا بالجلوس وأردف بحزم:

ـ إنها أميرة ماريس إيميليا أدريان..

تعجبوا جميعًا، وحملقوا النظر إليها، لتستعيد ذاكرتهم ملامح الفتاة الصغيرة التي كانت ترافق والدها دومًا.

"مهام مؤقتة"

تستيقظ إيميليا كل يوم، وتذهب للمستوصف، ولم تعد يخطر ببالها تساؤلات عن المرضى القادمين إليها، فأصبحت تعرف كيف تأذوا، وكيف يسير الوضع في المملكة.

وعلمت بما يعانيه شعبها من بطش أجينيس، وحزنت كثيرًا لما هدمه أجينيس من أشياء أفنى أبوها عمره في بنائها.

ومرت خمسة أيام كبعضهم البعض، تنتظر كل يوم أنطوان ليخبرها بالمجيء، ولكن انتظارها كل يوم بلا جدوى، حتى إنه لا يأتي للمكتبات، وطوال الخمس أيام لم تره، تتساءل ولكن لا يمكنها الذهاب إليه، فقد أكد عليها عدم زيارتها له للاحتياط فقط.

فقررت الانتظار، لتعرف ماذا يحدث سواء أكان خبرًا جيدًا أم سيئًا، ولكنها كانت تثق كثيرًا بأنطوان صديق والدها، والذي لم تظهر عليه إلا الخبرة والحكمة، فتَعلم جيدًا أنها وجدت الطريق الصحيح نحو وصولها للهدف الذي جاءت من أجله.

وكاد اليوم أن ينتهي، ودقت الساعة العاشرة، وهي تستعد للنوم، وإذا بحمامة تقف على نافذة غرفتها.

فتحت النافذة، فتفهم ما تريده الحمامة بمجرد النظر لعينها، لا تعلم كيف، ولكنها استطاعت قراءة ما يحدث.

كيف أخرج الآن، لا لا يمكنني الخروج، يحذر الخروج ليلًا في تلك المملكة، فهناك الحراس الليليين وهم كفاية لينتهي أمري اليوم، ولا يمككني أن أنسى ما حدث تلك الليلة.

وجلست على الفراش تفكر والحمامة تقف قبالتها وكأنها تنتظرها، وفهمت أنها سوف تسير حسب الحمامة، وهي التي سوف تدلها على المكان.

وبعد تشوش الأفكار في رأسها، قررت أن تخرج، فلا يمكن أن يؤذيها العم أنطوان، وبالتأكيد أنه أخذ بعين الاعتبار ما سوف يحدث، وسوف يحميني من أي أخطار قد تحدث..

"هيا يا بنت أدريان قومي، فوالدك يحتاجك".

سمعت هذه الكلمات بصوت هامس ولكنها شعرت وكأنها أوهام أو تهيؤات من عقلها..

وارتدت رداء ذا غطاء للرأس ولونه أسود كظلام الليل.

وخرجت من باب المنزل، وقلبها يرتعش خوفًا، ولا تعلم ماذا تفعل غير أنها لابد أن تخرج وتسير في هذا المصير الذي اختاره القدر لها.

وسارت في الظلام والحمامة تطير فوقها، ولكنها بعد خطوات الحمامة اختفت ووجدت أحدًا يقف على بعد مترين منها، ارتعش كل جسمها خوفًا وتسمرت مكانها، وبدأ يقترب شيئًا فشيئًا، وعقلها توقف تمامًا عن التفكير، وكلما يقترب أكثر كلما تتنفس بصعوبة أكثر، والعرق يتصبب

على جبينها، وتشعر بالحرارة تسير في كامل جسدها، وظلت مكانها تنتظر مصيرها في استسلام....

وأخذ يقترب أكثر فأكثر إلى أن بدأ يظهر تدريجيا..

أكثر فأكثر...

لم تعد بينهما إلا عدة خطوات ولكنها لم تتعرف على الوجهه فاليوم مظلم للغاية والقمر مختفٍ تماما ولا يوجد أي ضوء.

اقترب منها وأصبحت بينهما ثلاث خطوات، شعرت براحة كبيرة، ونبضات قلبها بدأت تنبض بشكل طبيعي مرة أخرى..

وتنفست الصعداء حينما سمعت صوته الهامس:

ـ هيا يا إيميليا.. ليس لدينا وقت كثير..

ـ حسنًا رونان.

وسارا سريعًا في خطوات هامسة.. وصلا إلى مكان غريب للغاية تشعر إيميليا وكأنها تعرفه ولكن بالطبع إنها لا تعرفه، فهي لم تأتِ لهذا المكان من قبل، قصر مهجور قريب من النهر للغاية، حتى إن صوت تدفق المياه يطرب أذنها بشكل واضح، وصوت الأشجار من حولها يبعث في داخلها الخوف والرهبة، دلفوا إلى الداخل بعد أن تخطوا الأسوار الشائكة عن طريق ثقب صغير في أسفل الأسوار العالية، يكفي لدخول شخص واحد متكئًا على قدميه، متخفيا وراء شجرةٍ كبيرة، سارا في ساحة كبيرة تشبه الخرابة، ولم يدخلا من باب القصر ولكنهما مشيا في طريق، واتجها وراء القصر تاركين وراءهم الساحة الكبيرة، وبعد

المشي لأمتار وجدوا بابًا في القصر من الوراء ليس بكبير، وكأنه باب قبوٍ قديم للقصر، ففتحه ببطء، والغريب أنه فتح بسهولة...

دلفت للداخل ثم هو وراءها وأغلق الباب بعدما تأكد أن الجميع موجود..

الخوف تلاشى من قلبها بعدما رأت الجميع وجلسوا جميعا على الأرض حيث كانت مفروشة بحصيرة بالية ولكنها ليست متسخة كما كانت تظن، وكأن أحدًا قام بتنظيف الغرفة والمكان قبل أن يأتوا، وبالتأكيد هذا سبب اختفاء العم أنطوان هذه الأيام، فقد كان يبحث عن مكان جيد ليتقابلوا فيه ويعده جيدًا ليكون بعيدا عن كل عيون أجينيس..

بدأوا يرسمون خريطة طريقهم، ويعدها العم أنطوان مع رئيس مجلس المدينة أدالريكو مع مناقشات بسيطه من الباقي.

وبعد حديث طويل لم أشترك فيه إلا ببضع كلمات انتهى بحديث العم أنطوان:

ـ سيكون علينا الفترة التالية الانتباه أكثر وأكثر فقط للاحتياط، لا نكلم بعضنا البعض إلا في الأمور العادية، بخلاف لقائنا هنا، وهذا اللقاء سأحدده بنفسي عند الحاجة، ولكن لابد أن نكون على تواصل جميعًا، لقاءاتنا لابد أن تكون في أي يوم إلا يوم اكتمال القمر وعدة أيام تسبقه وتليه، وجود إيميليا معنا أكثر خطرًا، فإذا اكتشف أجينيس هذا سيقتلها بالتأكيد، ولذلك لا تنادوها خارج لقاءاتنا بهذا الأسم، اسمها الذي يعرفه الناس ميرلا وليس إيميليا، نحن نبحث عن الكتاب من أجل مملكتنا، ولابد أن تعرفوا جيدًا أن إيميليا هي ولى عهد تلك المملكة، ولا مكان لأجينيس وأتباعه، ولذلك حماية إيميليا واجبة ليس لأنها من الفريق،

ولكنها ابنة الملك أدريان الذي فعل من أجلنا الكثير والكثير، وأقل ما نفعله من أجله هو أن نبحث عنه وعن الكتاب الذي تركه، لابد أن نراقب تتبعات أجينيس، وماذا يخطط، وبما يأمر، وهذه المهمة بالتأكيد لرونان، أما مارين عليها فقط أن تجعل الناس تعي جيدًا بطش أجينيس، وهذا بحذر تام وهو ليس بصعبا عليها فهي قريبة من الجميع، لابد أن يغضب الشعب منه، حتى يستطيع أن يولد هذا الغضب انفجارًا يومًا من الأيام، سينا أكبر تجار ماريس عليك أن تراقب الأجواء وتزرع داخل الشعب ألا جدوى من البحث عن الكتاب، هذا بجانب حضور خطابات أجينيس.

قال العم أنطوان وهو متجهًا لإيميليا، بعدما قسم المهام جيدًا على الجميع وكلهم حسب مجالهم:

ـ عليكِ فقط أن تقومي بعملك وتساعدينا إن احتجنا لطبيبة.

ـ حسنًا

وقال أدالريكو:

ـ بالنسبه لحمايتكم لا تقلقوا البتة، سيكون لكل واحد منكم حارس يحميه، ولكن لا تنسوا أن تتجنبوا النظر للجميع بأعين محدقة، وخاصة رجال أجينيس.

ثم نظر أنطوان لإيميليا موجهًا حديثه لإيميليا مرة أخرى:

ـ أعلم أنكِ كنتِ صغيرة ولكن ألا تتذكرين أين والدك كان يجلس معظم أوقاته؟

ـ كان يجلس على ما أتذكر في غرفة مكتبه بالساعات.

ـ ألا يوجد مكان آخر يجلس فيه، تذكري إيميليا إن هذا هو حل اللغز!

ـ لا أظن أن هناك مكان آخر كان يذهب إليه، أو قد يكون ولكن أنا لا يمكنني التذكر جيدًا.

ـ أريد منك المحاولة مرارًا وتكرارًا في التذكر، فأنتِ حل اللغز يا إيميليا، الجميع يبحث عن الكتاب في البيوت أو بعض المكتبات البعيدة، والبعض يبحث خارج المملكة لاحتمال أن يكون قد وجد الكتاب أحد، وهجر المدينة وذلك بعد سفر أدريان، ولذلك أجينيس يمنع الهجرة الدائمة خارج المملكة، حتى لا يتمكن أحد من تهريب الكتاب، وبالطبع نظام التفتيش جيد جدًا عند باب المملكة، اثنان فقط يسلكون نفس الطريق، نحن وأجينيس.

اندهش الجميع عند ذكر أنطوان لأجينيس، أردف بحزم:

ـ نعم أجينيس، إنه من يسلك نفس طريقنا و يحاول أن يصل إلى الكتاب عن طريق معرفة الأماكن الذي كان يجلس بها أدريان، حتى إنه سجن كافة مستشاريي أدريان، حتى يعترفوا بمكان الكتاب، ولا يعلم أن المستشارين لا يعلمون مكان الكتاب، أدريان قد أراهم الكتاب فقط.

قالت إيميليا مقاطعة له:

ـ عذرا عم أنطوان أيمكن أن يكون أبي مسجونًا في سجن أجينيس!

نظر لها بأسى:

ـ كل شيء جائز أن يحدث يا ابنتي، أنا لا يمكنني أن أفسر اختفاء والدك.

صمتت إيميليا وظهر عليها الحزن، فهي تبحث عن الكتاب ليس فقط لإنقاذ المملكة، ولكن المبرر الأقوى، هو أن الكتاب حلقة وصل مع مكان والدها كما تظن هي، لأنه آخر ما قرأه والدها قبل مغادرتها.

ظلوا يتحدثون ويتبادلون الأفكارإلى أن أشار أنطوان لابنه فقام وفتح الباب ببطء ونظر بالخارج ثم قال:

ـ لابد أن نرجع لأماكنا مرة أخرى حتى لا يبزغ الفجر وينكشف أمرنا..

فقام الجميع وخرجوا واحدًا وراء الآخر، وصلت إيميليا لمنزلها وظلت تفكر لساعتين على الفراش في حديث أنطوان، وعن المهمات التي قسمت على الجميع ما عداها، هي لا تعرف ما الذي ستقوم به لتصل إلى ذاك الكتاب خاصة أنها لا يمكنها الخروج ليلًا بسبب حراس أجينيس المختفين في ظلام الليل والذين يكثفون ويتجمعون عند قرب يوم اكتمال القمر، ولكن لقد وضعوا لي حارسا مخفيا يحميني، ظلت تفكر كثيرًا في الوصول لهذا الكتاب، وأين يا ترى وضعه والدها إلى أن غفوت.. وصحت على الأصوات والحركة بالخارج فقامت من النوم لتعد نفسها للذهاب إلى العمل..

"صدفة برائحة أدريان"

رأسي يدور بشكل غريب، فأنا لم أنم إلا قليلًا، لا يمكنني التركيز، ولكنني مضطرة على مواصلة اليوم..

جاء أحد رجال أجينيس ودخل إلى المستوصف بشكل مفاجئ وقد ارتعب الجميع، وأخذ إيميليا من يدها دون كلمة واحدة، وأسرع ولم تشعر إيميليا بشيء إلا عندما وصلت أمام البناء الأحمر هذا.

دلفوا إلى الداخل بعدما فتحت بوابة كبيرة عالية، وقد اندهشت عندما رأت السُجان وعلمت أن هذا سجن أجينيس، ولكن لماذا جاءت هنا؟؟

بدأت علامات التوتر عليها، وشعرت وكأن دلو مياه مثلجة قد أسقط على رأسها دفعة واحدة وظلت تفكر ماذا سيحدث بها..

"لقد انتهيت، نعم لقد انتهيت، وأجينيس اكتشف أمري".

وهذه الكلمات تتردد في ذهنها بشكل مستمر ومتكرر..

تصعد درجات السلم مرعوبة وراء هذا الحارس ولا تعلم ما المخرج، وكيف يمكنها إخراج نفسها من هذا المأزق الكبير الذي وقعت فيه، توجهوا ناحية غرفة من الغرف، بعدما صعدوا للطابق الرابع، وفتح الغرفه ذاك الحارس، وما أن دلفت للداخل كانت المفاجأة.

إنه أحد مستشاريي أبي إنني أتذكره جيدًا، لقد حُفر مع ذكرياتي في ذهني، لقد كان يتردد إلينا كثيرًا، نائم على فراش ضئيل بجسده الذي يظهر عليه الأسى والهم، حتى إنه مستسلم للموت وكأنه ينتظره..

تقدمت ناحيته، وعلمت أنني جئت لأعالجه، أعطيته حبات الدواء، ونظرت إليه بحب وعطف، أشم رائحة أبي فيه، ويذكرني بذكرياتي القديمة التي أتمنى من كل قلبي أن تعود مرة أخرى.

انتهيت من عملي وتوجهت إلى المستوصف مرة أخرى وطلبت منه أن يواظب على تناول الأدوية.

واتجهت مرة أخرى إلى المستوصف، وأنا سعيدة وحزينة في آنٍ واحد، حزينة لأن أصدقاء والدي زجوا بالسجن، وسعيدة لأنني بدأت ألمس طيف والدي اليوم ورائحته، وكان الأمل داخلي يكبر ويكبر، فمنذ أن دخلت تلك المدينة، وأنا أشعر بروح أمي وأبي، وكأنهم يحتضنانني بشدة، يساعداننني لأصل إلى ما أريده، وسأصل بكل تأكيد..

انتهيت من عملي، وذهبت لمنزلي لإعداد الطعام لأتناول الغداء، وأتجه للمكتبة لأقرأ لبعض الوقت، فقد أخذني الحماس للبحث، بعدما شعرت بطيف أمي وأبي اليوم، لأفعل أي شيء مقابل أن أجد أبي.

وذهبت للمكتبة وعندما ذهبت، وجدت العم أنطوان يقرأ كعادته، لم أقترب منه ولم أتكلم معه مثلما أمرني، ولكن عينانا كانت تتلاقى بين الحين والاخر، وكأننا على تواصل وقد قررت أن أذهب، وقمت بوضع الكتاب في موضعه، فانتبه لي العم أنطوان وفهم أنني سأذهب، فأومأ لي برأسه، وذهبت لمنزلي قبل أن تغادر الشمس حتى لا تصعب عليّ

المغادرة، أما بالنسبة لعم أنطوان فيخرج متى شاء ويرجع متى شاء، ولا أعرف ولم أسأله، ولكنني في المرة القادمة سوف أسأله عن الطريقة، وما حدث لي ذاك اليوم.

وبعد قليل سمعت طرقات الباب، من الذي سيزورني يا ترى في تلك المدينة، وفي هذا الوقت الذي تظهر فيه أشباح أجينيس، والتي لا يسلم أحد منهم.

توجهت ناحية الباب..

ـ من؟؟

ـ أنا عمك أنطوان..

فتحت إيميليا الباب سريعًا دون تفكير حتى.

ـ عم أنطوان تفضل، أحدث شيء سيئ؟

ـ لا لا يا ابنتي لا تقلقي كل شيء بخير جئت لأتكلم معك قليلًا.

ـ أجل، تفضل بالجلوس.

وجلس العم أنطوان وجلست مقابلة إيميليا..

ـ إيميليا يا ابنتي أتشعرين بشيء غريب حولك؟

ـ لقد كنت أريد أن أتحدث معك عم أنطوان بهذا الشأن.

ـ نعم يا ابنتي ماذا تريدين أن تخبريني به؟

ـ لقد حدث لي ذات يوم شيء غريب، لم أكن أعلم أنه لا خروج من المنزل بعد غروب الشمس، وعندما خرجت سمعت أصواتًا ورأيت أشياءً غريبة....

أخبرته بكل ما حدث لها في ذاك اليوم وكيف أنقذت.. صمت العم أنطوان وكأنه يدرك تماما ما كان يظنه.

ـ في اليوم الثاني من مجيئي لتلك المملكة وجدت طعامي المفضل على الطاولة، تعجبت كثيرًا ولكنني لم أعط لذلك أهمية، فقد كنت مشغولة بما جئت من أجله..

وأردفت بحزن:

ـ إنني أشعر بأبي وأمي عم أنطوان، أشعر بدفء محبتهما، ذات يوم كدت أن أنزلق ولكن أحدًا لم أره ساعدني، كل شيء غريب وأنا لا أعلم ما يحدث، إذا كان أجينيس وحراسه بكل هذا السوء لماذا يقومون بمساعدتي، منذ أن وطئت قدمي تلك المدينة.

ـ إيميليا يا أبنتي، هذا ليس أجينيس الذي يساعدك ولا حراسه حتى، أجينيس إن علم بأمرك سيأخذك ويعذبك حتى يعرف بحل اللغز، سيجعلك تتذكرين رغمًا عنك، يريد الكتاب بأي ثمن كان.

ـ ولكن من يساعدني عم أنطوان؟

ـ إيميليا أنت لا تحتاجين لحماية، أنت محمية بالكامل من أشباح المملكة، بل إنكِ الوحيدة في تلك المملكة التي لديها حراس، يحمونها من أي شر خارجي، حتى إن حراس أجينيس لا يمكنهم إيذاؤك، واليوم الذي

تتحدثين عنه لن يتكرر أبدًا، حراسك أعطوا لحراس أجينيس الأمر بعدم التعرض لكِ، ولكن هذا يمنع بشري من التعرض لكِ بأذى.

ـ ولكن من يحميني عم أنطوان؟

أنطوان يعلم جيدًا من يحميها ولم يأتِ إليها إلا بعد أن تأكد من الأمر..

ـ إنها أرواح المملكة الطاهرة، يا ابنتي، أمك تحميكِ وهي بجانبك دائما..

وقالت بفرحة كبيرة:

ـ كنت أعلم بوجودها عم أنطوان.

ـ الآن سأذهب يا ابنتي.

ـ ولكن عم أنطوان كيف تسير في هذا الليل وما هم الحراس الذي تركتهم لنا؟

ـ إيميليا يا ابنتي، إن الحراس الذين تركتهم لكم ما هم إلا ليغطوا على وجودكم، ولكنهم لا يمنعون الأذى بخلاف حراسك أفهمتِ؟ أما بالنسبة لي فسوف تعلمين كل شيء في وقته الصحيح..

ذهب العم أنطوان وإيميليا سعيدة جدًا بما سمعت منه، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه دائما في ذهنها أين والدها أدريان وكيف تشعر به أيضًا معها..

وبعد استغراق العديد من الوقت في التفكير في كلام العم أنطوان، انسحبت إيميليا ونامت كي تستطيع أن تستيقظ في الصباح لتذهب إلى عملها..

وفي أثناء مزاولة عملها، جاء أحد حراس أجينيس مرة أخرى، لم تخشَه إيميليا مثل المرة المسبقة، وطلب من إيميليا المغادرة معه، غادرت معه إيميليا، وتوجهوا ناحية ذاك البناء العالي المطلي بلون الدماء وكأنه يخبرها عن المعاناة التي يعانيها أهل المملكة، هبطت للطابق الرابع وتوجهوا لنفس الغرفة وتركها الحارس معه هذه المرة، أخذت إيميليا تنظر في داخل عينه، وتتأكد من نبضاته، ولكن وضعه كان صعبًا، وكأنه يحتضر...

ـ ماذا تشعر يا حضرة المستشار؟؟

حملق النظر بها، والصدمة رسمت على وجهه، مثلما كساه الهم والحزن، وعينه اتملأت بالدموع عندما رأى عين أدريان هي من تنظر له، إنها عين الفتاة الصغيرة التي كان يلعب معها وتتدلل على الجميع.

ـ كيف حالك يا فتاتي، أتذكرتني بعد كل تلك السنوات..؟

امتلأت عين إيميليا بالدموع، وتحشرج صوتها، وحاولت أن تكتم صوت بكائها، فصديق والدها يحتضر أمامها، ولا تعرف ماذا تفعل..!

أمسك يدها وقال:

ـ ابنتي الصغيرة، ليس لدي الكثير من الوقت، لذلك اسمعيني جيدًا، وقبل أن يأتي أحدهم، إن مستقبل المملكة في يدك، أرجوكِ حاوليأن تنقذي

المملكة من هذا الشيطان، وأشباحه، أنا أعلم أشياء مهمة عن الكتاب الذي يبحث عنه أجينيس، ولو مت اليوم لكان دفن معي، ولكن القدر أراد أن يسلم السر لصاحبته، فلتسلمي دوما من كل شر.

مات لقد مات، حاولت كتم الصراخ بداخلها، وكتم دموعها، سمعت صوت الحارس وراءها فقالت له بثبات:

ـ لقد مات السجين..

وتقدمت لخطوات تسبق الحارس، وخرجت من الغرفة، وشعرت بأن نفسها يضيق داخل هذا البناء الذي تملؤه رائحة الموت.

لقد سجن أجينيس مستشاريي أبي، ليكونوا تحت عينه، كان يحافظ على صحتهم، علمًا منه أنهم قد يساعدونه في حل اللغز، ولكنهم كانوا أوفياء، استقبلوا العذاب داخل السجن بكافة أنواعه ولم ينطقوا بكلمة، لقد عرفت اليوم اسم الكتاب، بالتأكيد سأصل يا أمي ويا أبي، ابنتكما ستصل للطريق الذي رسمه القدر لها بلون الدماء..

"خروج بلا قيود"

بعد أن عرفت إيميليا أنها محمية، كانت تخرج متى شاءت إلى أي مكان، لم تعد تخاف الظلام أبدًا، وفي يوم جاءتها حمامة العم أنطوان إلى نافذة منزلها فعلمت أنه ميعاد الاجتماع بالفريق، وارتدت ذلك الوشاح الأسود، الذي يغطيها جيدًا حتى رأسها، وخرجت من منزلها..

في هذه المرة لم يرسل لها أنطوان أحدًا، ولا حتى حماية.

جلس الجميع في انتظارها، وهم قلقون عليها، ما عدا العم أنطوان و أدالريكو اللذان يظهر عليهما عدم الخوف عليها ويعلمان أنها بالتأكيد بخير ما لم يرها أجينيس في طريقها.. قال رونان لأبيه:

ـ إنني قلق عليها، كيف لها أن تأتي دون حماية يا والدي.

ـ لا تقلق إنها بخير، وسوف تأتي الآن..

دلفت إلى الداخل دون أن تطرق الباب فتفاجأوا منها ولكنهم اطمأنوا بعد أن رأوها بخير.

قال لها العم أنطوان:

ـ لماذا تأخرتِ إيميليا؟

ـ لم أكن أتذكر المكان جيدًا ولذلك استغرقت بعض الوقت في البحث عنه..

ـ أجل، هيا لنبدأ..

قال سينا موجهًا حديثه لإيميليا:

ـ كيف جئتِ إلى هنا بدون أي شيء؟؟

علامات التساؤل تظهر على الجميع، فقال أنطوان بحزم:

ـ اجلسوا الآن وستعرفون كل شيء، هيا..

جلسوا على الأرض، ونظر أدالريكو لهم وقال:

ـ عندما أرسلت حماية لإيميليا، حدث شيء غريب لم يكن متوقعا، وسوف يفيدنا أثناء رحلة بحثنا..

وأردف بحزم وجدية:

- حمايتي تفاوضت مع حراس إيميليا، نعم ما تسمعونه حقيقي إيميليا محمية ولديها حراس ولم تكن تعلم بذلك ولا نحن أيضًا، وعندما تفاوضوا، رجعت حراسي إلّ وعرفت منهم أن إيميليا لا تحتاجهم فهي لديها حراسة قوية ويمكنها الخروج كيفما شاءت، فلن يمنعها حراس، ولكن ما يمنعها هم البشر كأجينيس مثلا، فحمايتها تسير على العالم الآخر فقط.

اندهش الجميع وقال أنطوان:

ـ لأجل مثلما قال لكم أدالريكو، فبعد ذلك ذهبت إليها وأخبرتها حتى لا تخاف وتقلق..

وقالت مارين:

ـ ولكن من يحميها عم أنطوان؟

ـ أرواح طيبة فحسب، أردنا فقط أن نخبركم بذلك لأن إيميليا دورها سوف يدخل في المهام وبشكلٍ رئيسي، جمعتكم اليوم من أجل..

وأردف:

ـ سنبحث بأنفسنا داخل المكتبات في كل أنحاء المملكة، أريد أن نبحث جيدًا، عن أي خيط قد يساعدنا في رحلتنا...

من الغد سيكون علينا البحث بين الكتب ، لنسير فى الطريق من بدايته ثم ننتقل إلى ما هو أعظم وأخطر، فقد نصل إلى شيئًا غير متوقع يفيدنا فى تلك الرحلة المجهول مبحوثها مع احتفاظ كلًا منكم بالمهام البسيطة التى وكلتكم إياها من قبل .

قالت إيميليا لهم:

ـ أريد أن أخبركم بشيء.

وقصت عليهم حكاية ذاك السجين، واستطاع أنطوان التعرف عليه، فقد كان أحد أصدقائه وظل يتحدث عن ثقة أدريان فيه وقال:

ـ لو كان أدريان وَكل أحدًا بأمور المملكة لكان هذا المستشار هو الملك من بعده.

فقالت إيميليا:

ـ نعم معك كل الحق، لقد فعل ما لا يمكن لأحد غيره أن يفعله، لقد أنقذ المملكة من يد أجينيس ولو لم أذهب إليه اليوم لكان اسم الكتاب الذي نبحث عنه قد دفن معه للأبد..

ـ ماذا تقولين؟؟

اندهش الجميع.. وأردفت إيميليا قائلة:

ـ نعم عرفت خيطًا قويًا سوف يوصلنا للكتاب، الآن سنبحث عن شيء مجهول ولكنه معلوم..

قال أنطوان مقاطعًا إياها:

ـ ماذا عرفتِ يا إيميليا؟

ـ اسم الكتاب يعني الأرض السابعة، هذا ما يتذكره مستشار والدي، وقال لي ابحثي من حيث هذا الخيط..

شرد أنطوان مع معنى الكتاب، وكأنه يحاول التفكير في شيء معين.. قال أدالريكو:

ـ حسنًا يا رفاق، كل ما يهم الآن البحث في المكتبات.

وقسم عليهم المكتبات لينتهي العمل سريعًا.. وسمح لهم بالانصراف وظل هو وأنطوان في تلك القبو يحاولون أن يربطوا الكتاب مع معناه.

ـ لقد كنت أظن أن الكتاب له علاقة بالعالم الآخر، وقد يكون هو البوابة لفتح ما لا يمكننا إغلاقه أدالريكو.

ـ الأمر أصعب مما كنت أتخيل، الآن عرفت لماذا يريده أجينيس.

ـ ولكن أجينيس في يديه الكائنات التي أسكنها ماريس، وهم في خدمته، لماذا إذن يحتاج لهذا الكتاب؟؟

ـ لا أعلم، ولكن ما أعلمه أن هدف أجينيس في الوصول للكتاب هو هدف حقير يا أنطوان.

ـ إذن علينا نحن المشي وراء هذا الخيط، والبحث عن الكتب التي تخص السحر والدجل والجن، وقد يساعدنا رفاقنا من العالم الآخر (التي تحميهم).

ـ نعم علينا فك تلك الشفرة، قبل أن تحل لعنة الكتاب على المملكة.

"تغيرٌ مفاجئ"

وأثناء تلك الفترة كان الجميع منشغلا بالبحث جيدًا في المكتبات عن الكتاب، وعن تجميع الكتب التي لها علاقة بالعالم الآخر، فكان الجميع يبحث بقدم وساق، فإيميليا تنتهي من العمل كل يوم مبكرًا وتتناول طعامها، وتتوجه مباشرة للمكتبات التي كلفها بها أدالريكو، تبحث جيدًا بين الكتب، وتقرأ بعضًا من الصفحات التي تلفت انتباهها، ومارين تنتهي من عملها في المدرسة وتتناول طعامها أثناء فترة الراحة، وتتوجه مباشرة للمكتبات التي كُلفت بها، أما سينا فكان يترك أعمال التجارة لصبيانه، ويتوجه للبحث طوال النهار في المكتبات، أما رونان فقد كُلف بعمل سري عن الجميع من قِبل أنطوان وأدالريكو، وما هو معلوم أنه يراقب تحركات أجينيس فقط، أما أنطوان وأدالريكو فقد كانوا منشغلون بالتواصل مع جهات أخرى، والتفكير في الخيط الذي سوف يساعدهم في الوصول إلى عتبة الطريق.

وهكذا سار الحال لمدة أسبوع ونصف تقريبًا، ومارين وإيميليا وسينا قد وصلوا تقريبًا لنفس النتائج، وقد أصيبوا بالإحباط جميعًا، فقد تمكنوا من التواصل معًا عن طريق رؤية سينا في أحد الأسواق، وقد كان يبيع بعضًا من بضائعه، فتمكنت مارين من معرفة منه ماذا حدث، وقابلته إيميليا في يوم آخر صدفة، وعرفت منه أنه ومارين لم يصلوا لجديد مثلها وأن المياه راكدة ولم تتحرك والطريق أمامهم مازال طويلًا بعدما كانت تشعر بأشعة آمال تخترق جسدها المتعب من التفكير والبحث.

ولكن هل الكتاب سيظل مخفيا كل تلك السنين، هل سينتقل من جيل لجيل، ويلحق اللعنة للجميع، فالمملكة لم تسلم منه منذُ أن ولد هذا الكتاب بداخلها بواسطة إحدى الكتاب المهووسين بالسلطة والنفوذ، ماذا يا ترى سوف يحدث ليغير مجرى المياه، ويدفعها بشدة لتتحول شلالا في وجه أجينيس..

وما هو السبيل لإنقاذ المملكة من هذه اللعنة التي حلت عليها منذ زمن بعيد...

ينادي أحد الحراس في منتصف ساحة المدينة بصوته الجهوري العالي:

- يا أهالي المدينة، يا أهالي المدينة، تجمعوا هنا في الساحة، حاكمنا سيلقي خطابا بعد قليل يخص أموركم في المملكة، إنه أمر هام وضروري ولا يستدعي التأخير.

تجمع من حوله معظم أهالي المملكة، والعدد يزيد كلما مرت الدقائق، فقد شعر أهل المملكة بالقلق من هذا النداء، حتى إن أجينيس لم يتأخر عليهم على غير عادته..

ووقف أجينيس على المنصة، أيضًا على غير عادته، وهو أقل كبرياءً.

- يا أهل مملكتي، إن المملكة في خطر، والبحث عن الكتاب أصبح أمرا محتوما، فهو من سينقذ المملكة، وليس بيدي أي شيء سوى البحث عن الكتاب لينجد المملكة جميعها من الدمار.

فزع الناس من خطاب أجينيس، وظلوا يتحدثون عما قاله أجينيس، ويا ترى ما هو الخطر الذي يواجه مملكتهم، وقد ظن البعض منهم أن أجينيس يفعل ذلك فقط من أجل الوصول إلى ذاك الكتاب في أسرع وقت ممكن، والبعض فسر الخطاب على أن ماريس سوف تُحتل من مملكة أخرى مثلما حدث قبل ذلك، وتعددت الآراء والأفكار حول الهدف الجوهري وراء هذا الخطاب المفاجئ لأجينيس.

كان من بين الذين يقفون في الساحة فريق العم أنطوان كاملًا ما عدا ابنه رونان، الذي يقف على المنصة بجوار رجال أجينيس.

نظر أنطوان للجميع، وقد فهموا منه أن اليوم سوف ينتظرهم في مكانهم المعتاد، وأن هناك أمرًا طارئا يستدعي اجتماعا في أسرع وقت ممكن .

خرج الجميع كعادتهم، يسيرون ببطء، ويختبئون وراء المنازل وبعضها البعض، وقد اعتادوا على ذلك فلم يعد الأمر صعبًا، أما بالنسبة لإيميليا التي تسير بخطى واثقة، ولم تعد تخاف مثل ذي قبل.

وتجمعوا في ذاك القبو، وكان يظهر على أنطوان وأدالريكو التوتر وقد أشار لهم أدالريكو بالجلوس.. جلسوا جميعًا وبدأ أنطوان سريعًا في الحديث وكأنه كان ينتظرجلوسهم..

ـ اليوم أعلن أجينيس أن المملكة في خطر، هل تعرفون ما هو الخطر الذي يتكلم عنه أجينيس؟؟

ـ لا ولكن قد تكون مكيدة ليحمس أهل المدينة للبحث عن الكتاب، وبأهمية هذا الكتاب للمملكة.

ـ لا يا سينا، الموضوع ليس كما يعتقد بعض أهل المدينة قط.

إن المملكة منذ أول يوم جلس أجينيس على العرش، وقد أعطى الأمان للكائنات المختفية عن أنظارنا جميعًا، ولكننا نشعر بوجودهم بكل تأكيد، أليس كذلك؟؟

وأردف كلماته بشيءٍ من الضيق:

ـ أجينيس أرادهم ليبني مملكة لا مثيل لها، وقد حدث بالفعل، فانظروا لتلك البنايات والمنشآت، فنحن لا نعرف حتى من أنشأهم، بغض النظر عن الظلم الذي لحق بأهل المدينة، فقد كان يسعى لأطماعه الشخصية حتى لو على حساب كل أهل المملكة، ولكن أطماعه تزايدت وتزايدت، ويريد التوسع خارج المملكة، وهنا حدث الخلاف بينه وبين قبائل الجن الذين يسكنون المملكة، ويمارسون أنشطتهم ليلًا، وهذا يفسر عدم وجود المصابيح ليلًا، ومن خلال اتصالي ببعض تلك القبائل، والتي نمت بيننا علاقات من الصداقة، عرفت منهم أن المعاهدة نقضها كبيرهم، وذلك بسبب أطماع أجينيس التي لا تنتهي، حتى إنه يريدهم أن يحاربوا الممالك المجاورة ليسهل احتلالها، وهذا يعارض قوانينهم، لأن القبائل الأخرى من ذوي جنسهم تعيش في الممالك المجاورة ولا يمكنهم أن يحاربوا جنسهم ويخالفوا قوانينهم، وعندما رفض قائدهم، فقام أجينيس بالتحدث معه بطريقة غير مهذبة، وهدده بطرده من المملكة، وكان هذا الغباء الذي لا يحسد عليه أجينيس ونقطة ضده، فتلك القبائل الآن تحارب أجينيس، وقد خرجوا عن طاعته..

وأردف كلامه بانتصار كبير:

ـ وهذا سيسهل من عملية بحثنا في الأيام المقبلة..

شعر الجميع بلذة التشفي من ذاك المريض، وقرب رسو قاربهم في الميناء.. قال أدالريكو:

ـ وماذا عن المهام التي وكلت لكم؟

قال سينا نيابة عنهم:

ـ لا جديد، ولكن هناك شيئًا غريبا قد تمت ملاحظته!

قال أدالريكو:

ـ وما هو هذا الشيء؟؟

فقالت إيميليا:

ـ عذرًا سينا، إن الغريب أننا لم نجد أي كتب تتكلم عن العالم الآخر، والسحر وغيره، وهذا يدل أن أجينيس يحاول إخفاء هذه الأمور عن سكان المملكة، حتى لا يكتشف أحد أمره، أو يحاوله مهاجمته بنفس السلاح.

فقال أنطوان:

ـ معكِ حق يا إيميليا، ولكننا نعرف من أين نأتي بها، إضافة إلى ما أملكه منذ قديم الزمان.

قالت مارين:

ـ وماذا سنفعل في الأيام القادمة؟

قال أدالريكو:

ـ مهلًا يا فتاة، لقد كنا سوف نتحدث بهذا الشأن توًا...

فقال لهم أنطوان:

ـ سيخبركم أدالريكو المهام التالية.. (ونظر لأدالريكو ينتظره يتحدث)

ـ حسنًا، المهمة الجديدة ستكون في الغابة تحت الظلام الدامس، ولا وقت للانتظار، وسوف يبدأ من الغد، سيأخذ الجميع إجازة من العمل، وتركت لكم هذا الوقت لترتبوا أموركم، سنتحرك في عشية هذه اليوم.

ـ ولكن غدًا سوف يكتمل القمر.

ـ نعم، نعلم ذلك، ولكن ألم يؤثر الخبر الجديد في رحلة بحثنا؟

ـ أجل معك حق.

قال أنطوان:

ـ سيكون معنا أفراد لن تروهم، ولكنكم ستشعرون بهم، فهم سوف يساعدوننا، ويفسحوا لنا الطريق من قبائلهم في يوم اكتمال القمر خصوصًا..

فقالت إيميليا:

ـ ولماذا سنبحث داخل الغابة؟؟

فقال لها أنطوان مندهشًا:

ـ ألا تتذكرين أن أدريان كان يذهب كثيرًا للغابة؟!

ـ نعم أتذكر ولكن هذا ما علاقته بوجود الكتاب؟

ـ أدريان كان لديه أنفاق وغرف تحت الأرض، ولم يكن يعلم بها أحد غيري، ولكنني لم أكن أعلم مكانها، وهذه هي مهمتنا الجديدة سوف نبحث عن تلك الأماكن، قد يكون أدريان أحب قراءته في هدوء وعزلة بعيدًا عن الجميع، لعلنا نصل لشيء حتى..

"السر وراء المراسيل"

دقت الساعة العاشرة، والجميع يستعد للخروج، أخذت إيميليا حقيبة صغيرة بداخلها مياه للشرب، وبعض من الأشياء التي قد تحتاجها، وخرجت من المنزل، واتجهت للغابة في المكان الذي حدده أنطوان، وكانت هي أول من يصل لهناك، لم تكن خائفة بل على العكس كانت تشعر بمن يقف جانبها ويونس بها، وبعد قليل جاء العم أنطوان ولما رأته إيميليا أظهرت نفسها له، فقد كانت تقف وراء شجرة كبيرة.

ـ هل أنتِ هنا منذ وقت طويل؟

ـ لا من دقائق فحسب.

ـ أجل، دعينا ننتظر الجميع..

وما هي إلا دقائق وجاءوا واحدًا تلو الآخر.

ساروا جميعًا مع بعضهم البعض، ولم ينقسموا لفرق، خوفًا عليهم من الضياع داخل الغابة أو أن يلحق بهم الأذى من أي شيء قد يحدث.

انسلوا بين الأشجار يبحثون بين الشجيرات وبين النباتات العشبية، وتحت أقدامهم فقد يكون هناك باب سري، أو أي شيء يساعدهم في الوصول إلى الأماكن السرية لأدريان.

ضوء القمر كان يصل لجميع أنحاء الغابة بشكل واضح، وكانت هذه الأيام هي أنسب ميعاد للسير داخل الغابة.

وظلوا يبحثون جيدًا بين الأشجار وبعضها البعض، أو شيء يلفت الانتباه، أو وجود حبال ومربوطة بشكل معين، لعلها تكون مفتاح الغرفة، وتفتح بواسطتها..

أشجار الغابه عالية وضخمة، والأوراق كبيرة، المسافات بين الأشجار وبعضها لم تكن صغيرة ومتقاربة، وهذا ما جعل ضوء القمر يتخلل إلى الغابه، ويجعلها وكأنها في النهار، كانت الأنحاء هادئة والجو يميل للبرودة قليلًا.

يسيرون في شكل أفقي وبينهم مسافات متقاربة بعض الشيء، كان البحث يجري جيدًا، يتقدمهم أنطوان بثلاث خطوات، وينظر إليهم بين الحين والآخر..

ـ توقفوا جميعًا.. توقفوا هيا!!

صرخ أنطوان بصوت عالٍ ليسمعه الجميع، وتجمعوا جميعًا في مكان واحد، وظل أنطوان ينظر ناحية الأمام وكأنه يراقب شيئًا ما، وبعد عدة دقائق سار أنطوان لخطوتين وكأنه تحدث مع الهواء، وقال لنا:

ـ لا تخافوا، إنها عائلة من عائلاتهم، حاولت فقط إيقافنا ولكنها لم تكن تنوي إيذاءنا، واستطعنا التواصل معهم والسماح لنا بالسير في منطقتهم، هيا فليتوجه الجميع لأماكنهم مرة أخرى..

واستمر البحث لساعاتٍ وساعات، وكان أنطوان يحثهم على مواصلة السير..

الساعة الثانية بعد منتصف الليل، والفريق لم يجد شيئًا طوال تلك الساعات السابقة، وأصابهم التعب، وكان لابد من أخذ استراحة صغيرة، لينالوا قسطا ولو ضئيلا من الراحة.

جلسوا تحت شجرة كبيرة يسندون أظهارهم عليها، كانوا صامتين ولا يتحدثون، والجو هادئ من حولهم، لا يسمعون إلا حفيف الأوراق وصوت تمايل الأشجار بفعل الرياح، ويتأملون البدر من فوقهم، فقد كان في غاية الروعة وكأنه عروس يوم فرحها والأشجار سعيدة وتهلل له وتحرك فروعها ترحيبًا له.

وبعد مرور نصف ساعة تقريبًا من الاستراحة، حاول أنطوان حثهم مرة أخرى على مواصلة السير..

ـ هيا لنكمل بحثنا، لا وقت لدينا بمجرد أن يبزغ النهار وتوشك الشمس على الشروق لابد أن نكون في مكانٍ آخر غير الغابة.

وبالفعل استعدوا لمعاودة البحث والرجوع لأماكنهم مرة أخرى.. وانسلوا بين الأشجار مرة أخرى ويسبقهم أنطوان وأدالريكو بثلاث خطوات.. سمعوا نداء سينا من ناحية اليمين فأرسل أنطوان ابنه رونان إليه سريعًا، جاء رونان يحمل خبرًا لوالده:

ـ أبي لقد عثر سينا على شيء قد يفيدنا كثيرًا.

وهنا توجهه الجميع لسينا، وكان يظهر على وجه سينا الفرح والبشرى السارة.

ـ لقد وجدت هذا الحبل تحت قدمي وكان يختبئ تحت تلك الأعشاب جيدًا وهذا الحبل يتصل بكومة حبال على مقربة منه ومربوطة حول تلك الشجرة العتيقة (وكان يظهر على الحبل المتانة والقدم).

اقترب أنطوان من الشجرة، وكانت عملاقة وعالية، وتكاد تكون أقدم شجرة في تلك الغابة، ووضع أنطوان يديه عليها ليتحسسها، ولكنه انتبه وكأن نقشًا نُحت عليها، وكان حرف A وهنا اقترب منه الجميع، وبدأوا ينظرون للرمز جيدًا والبعض يتفحصه بيديه وهنا قالت مارين:

ـ الرمز A، يعني أدريان، إنه أول حرف في اسمه..

رد أنطوان:

ـ نعم إنه كذلك، إننا في المكان الصحيح بكل تأكيد، شكرًا لك يا سينا، هيا لنغتنم الفرصة بعد أن وجدنا مفتاح الغرفة ونبحث جيدًا عن مكان الغرفه وبابها.

وهنا بدأ يبحث الجميع جيدًا والبعض يسير وراء الحبال، فهي الطريق لباب الغرفة، وطرف الخيط للبحث عن المجهول، وبعد قليل أشار لهم أدالريكو وأنطوان بأن يتقدموا ناحيتهم، وقال أنطوان:

ـ نهايه ظهور الحبل هنا، والباقي منه تحت أقدامنا، أو في المنطقة تلك، وهذا يعني أن الغرفة قريبة منا..

دب أدالريكو قدميه جيدا، وقام أحدهم بالاتكاء على الأرض، وأرهف سمعه جيدًا ليستمع لتأثير ضرب قدم أدالريكو..

ـ يوجد صدى صوت.

ـ هذا يعني أن الغرفة السرية تحت أقدامنا.

وهنا حفر رونان عند مكان نهاية الحبل حفرة صغيرة حوالي أربعين سم، ووجد شيئًا صلبًا فتوقف وبدأ يزيل التراب من على هذا الشيء الصلب.

ـ إنه باب حديدي تقريبًا، فلنكمل الحفر حتى نستطيع فتحه جيدًا.

وهنا ظهر الباب جيدًا وكان فتحه صعبا بعض الشيء، فمنذ سنين لم يفتحه أحد، حتى تعاظم الطين عليه وكونت تلك الطبقة التي أزالها رونان بأداة ساعدته على ذلك.. وتمكنوا من فتح الباب، وظهرت درجات سلم للهبوط إليها.. كان معهم مصباح صغير يضيء بالجاز ويتم إشعال طرف منه ثم يوضع عليه غطاء زجاجي، فأشعل أدالريكو هذا الطرف ووضع أنطوان عليه غطاءه الزجاجي، وأنار المكان بشكل جيد، وأمسكه رونان وتقدم العم أنطوان للنزول للغرفة وبعد أن نزل عدة درجات، ولم يعد يظهر منه إلا وجهه، أمر رونان بأن يعطيه مصدر الإضاءة.. ونزل وراءه إيميليا وأدالريكو والباقي ظلوا ينتظرونهم حتى ينتهوا من عملهم..

ـ كيف كان يأتي أبي إلى هنا يا عم أنطوان، الغرفة تشبه الخرابة..

ـ لا يا ابنتي بالتأكيد هناك جاء قبلنا إلى هنا.

قال أدالريكو وهو ينظر يمينه ويساره:

ـ أنا أعتقد ذلك أيضًا يا أنطوان، بالتأكيد جاء أجينيس هنا وتمكن من العثور عليها ثم ردم على بابها جيدًا.

توجهت إيميليا صوب شيء مرمي على الأرض..

ـ ما هذا؟؟

وأمسكت بورقة مهلهلة بفعل رطوبة المكان، وكأنها كانت تتنافس مع الطبيعة للبقاء..

وقرب أنطوان منها الضوء وبدأت إيميليا تقرأ الكلمات:

ـ ابنتي حبيبتي إيميليا، اشتقت لكِ، إنني معك دائما، ولابد أنك تشعرين بوجودي، فلتنعمي يا صغيرتي الجميلة بالحب في أحضان والدك الحنون، وبعضًا من رائحتي عند ضفة هذا النهر، لا تنسي أمك أبدًا..

أحبكِ كثيرًا.

لم تستطيع كبح دموعها فقد انهارت تلك الفتاة وظلت تبكي بحرقة، وتصرخ، وتقول كلاما غير مفهوم بسبب اختلاطه مع بكائها وصرخاتها المدويه بألم الحسرة والفقدان واليتم..

اقترب منها أنطوان وأخذ يمسح على ظهرها:

ـ لا تحزني يا ابنتي، يكفي كل هذا البكاء، هيا لنصعد مرة أخرى لفوق.

ـ ماذا أتى بتلك الرسالة هنا، إنها نفس اللغة التي كانت تتحدث بها أمي، فتلك الرسالة قد تكون كتبت بواسطة أبي يا عم أنطوان، كان يكتب لي المراسيل باسم أمي.

وهنا نزلت دمعة أنطوان عندما تذكر صديقه أدريان، وكيف كان أبًا رائعا ويكن لابنته كل حنان العالم بقلبه الكبير..

وتوجه أدالريكو وصعد السلم وبعدها بثوانٍ جاء رونان إليهم..

ـ هيا اصعدوا لفوق وأنا سأكمل تفتيش عنكم، هيا.

قالت إيميليا بصوت متحشرج:

ـ اتركوني قليلًا مع رائحة أبي، بعضًا من الدقائق فقط.

فقال أنطوان:

ـ حسنًا يا ابنتي، هيا يا رونان لنصعد.

ـ ولكن ألم نبحث في الغرفة؟

ـ لقد بحث أدالريكو جيدًا ونحن ولم نجد أي شيء، هيا لنصعد ونتحدث في هذا الشأن.

وصعدوا وتركوا إيميليا مثلما طلبت و لتهدأ ثم تصعد إليهم.

وعندما رأوا وجه العم أنطوان، أسرعوا بسؤاله للاطمئنان على إيميليا.

ـ لا تقلقوا سوف تكون بخير.

ـ ماذا حدث بالداخل؟

ـ لقد وجدت مكتوبا من والدها ولذلك لم تستطيع كبح بكائها..

ـ وهل وجدتوا شيئًا آخر؟

ـ لا من الواضح أن هناك من سبقنا إليها، وأخذ كل ما كان داخل الغرفة من أشياء مهمة ككتب، وبالتأكيد وقع هذا المكتوب من بين الأشياء ولم ينتبه له أحد..

ـ وماذا سنفعل الآن؟

ـ لا شيء، لا تقلقوا إن كان أجينيس وجد الكتاب ما كان ليبحث عنه حتى الآن، وما كان ليصل لهذا الضعف.

كان رونان يجلس بجانب باب الغرفة وينتظر إيميليا لتصعد الدرج، وعندما بدأت تظهر الإضاءة من بين ظلام الغرفة، معلنًا قدومها قال:

ـ إيميليا بإمكانك إعطائي المصباح حتى أنير لكِ ولتتمكني من الصعود.

ـ حسنًا.

ومد يديه للداخل، ومال بكل جسمه ليصل إليه ونجح في ذلك.. جاءت إيميليا بعد أن هدأت، كان يظهر عليها أثر البكاء، ولكنها عزمت على إخفائه والوقوف قوية أمام الجميع.. اقترب أنطوان منها وقال لها:

ـ أرجو أن تكوني بخير يا ابنتي.

ـ إنني بخير يا رفاق لا تقلقوا، فلنكمل مهمتنا..

مسحت مارين على كتفها بلطف وابتسمت لها فردت إيميليا عليها بابتسامة مشابهة ولكنها مدوية بألم في قلبها الصغير.. قال أدالريكو موجها حديثه للجميع:

ـ هيا لابد أن نتحرك، لقد اقتربنا من أطراف الغابة، فلنخرج منها قبل بزوغ الضوء هيا سريعًا.

سار الجميع سريعًا مع مجرى النهر حتى تمكنوا من الخروج من الغابة.. وجلسوا على ضفة النهر، ليرتاحوا من السير طوال الليل، و يتمكنوا من الرجوع بعد أن يحل الظلام.

"العثور على طرف الخيط"

ـ إنني أرى بيتًا قريبا منا. (قالها رونان)

بعد أن أذابت الشمس البخار واستطاعوا أن يروا جيدًا الأشياء من حولهم فانتبه له الجميع ما عدا مارين وإيميليا فقد غلبهم النوم وناموا في جانب قريب منهم بجوار شجرة.. قال أنطوان:

ـ هيا فلنتوجه إليه، خيرًا لنا من الجلوس هنا، وأكثر أمانًا لنا..

فقال أدالريكو:

ـ معك حق فهو أمان لنا وخاصة أنه على أطراف المملكة، وبالتأكيد أهل المنزل بعيدون كل البعد عن الأحداث داخل المملكة، فضلًا على أن المنزل قد يكون فارغًا من السكان.

كانت إيميليا بدأت تستيقظ، وعندما استطاعت فتح عينها، وجدتهم يقفون وكأنهم يستعدون لشيء فقامت من مكانها ببطء واستفاقت مارين وبدأت تفتح عينها.

ـ إلى أين أنتِ ذاهبة يا إيميليا؟

ـ لستُ ذاهبة لمكان، فقط كنت سأغسل وجهي من النهر، لأن الفريق وكأنه يستعد لشيء.

وأشار لها العم أنطوان وقال:

ـ هيا استعدوا فسوف نتوجه لمنزل قريب من هنا.

اتجهوا ناحية النهر مارين وإيميليا، وغسلوا وجوههم وأيديهم من النهر، وكان الماء صافيًا ومنعشًا فلم تدفئه الشمس بحرارتها بعد.

وساروا جميعهم واتجهوا للمنزل فلم يكن على نحو بعيد عنهم ووصلوا إليه وسبقهم العم أنطوان والعم أدالريكو، وقاموا بالطرق على الباب، ولم يرد أحد عليهم.. فقام أنطوان بالطرق مرة ثانية، وانتظر قليلًا وطرق الثالثة لعل وعسى أن يفتح لهم أحد من أفراد المنزل.. جلسوا جميعهم على درجات السلم الذي يوجد في مقدمة المنزل ينتظرون ألا يخيب أملهم ويرد أحد عليهم.

جاء صوت من الداخل، وكان صوتًا هزيلا نابعا من امرأة عجوز:

ـ من الطارق؟

رد عليها أنطوان:

ـ نحن نطلب مساعدتك فقط أن تأوينا في منزلك حتى يحل الظلام أو ليلة واحدة.

صمتت العجوز وكأنها قلقت بشأنهم وخافت أن يكونوا لصوصًا، نظر الجميع لبعضهم البعض، وقد علموا أنها تخشى أن تنال الأذى منهم.. ولكن جاء صوت أحدهم من الداخل، نابع من جسد رجل في الخمسين أو في أواخر الأربعين من عمره:

ـ نعم من أنتم؟

قال له أنطوان:

ـ نريد فقط مكانا لنستريح فيه لبعض الوقت وسأعطي لك ما تريد.

فتح الرجل الباب، وكان يحمل بندقية على كتفه حرصا منه على وقوع أي غدر منهم، وأخذ ينظر إليهم واحدًا واحدًا ويتفحصهم جيدًا، ثم قال لهم:

ـ ادخلوا فالمنزل كبير ويسع لعددكم.

كانت العجوز تقف بجواره، ويظهر عليها أنها كانت فتاة جميلة في صغرها، رغم سرقة العمر لجمالها، إلا أنها مازالت تتمتع بشيء من رائحة الجمال، وعيونها التي تشبه موجة زرقاء عالية تغرق كل من ينظرإليها، أخرجت بعضًا من الكلمات ببطء:

ـ هيا تعالوا لأريكم غرفكم.

ـ انتظري يا أمي وأنا سأريهم الغرف، واذهبي أنت لترتاحي في غرفتك.

ـ لا لا يا ولدي أنا أتمكن من الحركة جيدًا، هيا سيروا معي لأريكم أماكنكم..

سار معها الجميع، وهم ينظرون للبيت بتعجب، يشبه القصور، ولا يدل إلا على غنى أصحابه، فالتحف الغالية واللوحات العتيقة تزين المنزل وتزيد على النقوش الموجودة على الحائط جمالًا ووقارًا، وكان المنزل من طابقين، غرف أصحاب المنزل في الطابق العلوي، ما عدا المرأة العجوز التي لا يمكنها صعود الدرج أكثر من مرة في اليوم، ولذلك

اتخذت من إحدى الغرف في الطابق الأرضي غرفة لها، وباقي غرف الطابق كانت للضيوف، المنزل يبدو كبيرًا للغاية.. دلتهم على غرفهم وكان كل اثنين يشتركان في نفس الغرفة، وقالت لهم العجوز قبل أن تذهب:

ـ سأرسل لكم أحد الخدم بملابس أخرى لتغيروا ملابسكم، وتأتوا لتناول الإفطار معنا فنحن ننتظركم.

قال العم أدالريكو:

ـ شكرًا لكما كثيرًا، لقد شغلناكما بأمرنا، نأسف لأي إزعاج قد نكون تسببنا فيه.

ـ لا لا داعي يا أبنائي للشكر أو الاعتذار فنحن نرحب بكل الزائرين وهذا أقل ما يمكن أن نفعله من أجلكم.

ـ شكرًا على كرمكم.

فنظرت له وابتسمت له، وكأن سماءً صافية فوق بحر صافٍ هي من ضحكت، وجعلت الأمواج تتصارع مع بعضها لتهل عليهم بشيء من التأمل في تلك الطبيعة التي تأسر القلوب..

وبعد دقائق ليست بكثيرة، كانوا انتهوا من تبديل ملابسهم، وتوجهوا خارج غرفهم ودلتهم الخادمة على المكان المخصص لتناول الطعام، وكانت عبارة عن سفرة كبيرة، تضم العديد من الكراسي الفخمة، والتي تدل على الثراء خاصة أن جدران الغرفة مزخرفة بنقوشات بارزة

بشكل في غاية الروعة، وتبعث في النفس الاندهاش، وحب النظر إليها بشكل لا يعقل.

جلسوا على طاولة لتناول الإفطار، وكانت تضم أنواعًا عديدة من الخيرات، وكأنها أعدت لهم خصيصًا.. قال الابن الأكبر:

ـ إنني أدعى أدورجان وأنا الابن الأكبر لهذه العائله، وأتشرف بحضوركم منزلنا وأتمنى أن تحظوا بوقت طيب معنا.

رد عليه أنطوان بنفس طريقته الودودة:

ـ نحن نشكرك أنت وعائلتك على السماح لنا بالجلوس في منزلك، وتقديم هذا المعروف الكبير لنا وأيضًا أشكرك على هذا الود والكرم.

ـ لا داعي للشكر أتمنى لكم مكوثا هنيئا، هيا تناولوا الإفطار، يظهر عليكم التعب، لابد أن تنالوا قسطا من الراحة بعد الإفطار.

ـ نعم معك حق، بالهناء والشفاء لكم جميعًا.

وتناولوا الإفطار، وكان يظهر عليهم الجوع والتعب في آن واحد، ولم يتسنَّ لهم التحدث مع باقي العائلة أثناء الفطور أو حتى بعده مباشرةٍ، فقد ذهبوا للنوم سرعان ما انتهوا..

لم تشأ العجوز أن تزعجهم وقررت أن تتركهم يرتاحوا، ولا مشكلة في أن يتناولوا الغداء متأخرًا قليلًا..

وعندما استاكنت أشعة الشمس، وهدأت من حرارتها، وأصبح الهواء حرًا، وغير مقيد بحرارة، وها هي الساعة قد دقت الخامسة عصرًا، أمرت العجوز الخادمة أن تذهب وتطرق بابهم، وتطلب منهم القدوم لتناول الغداء وتخبرهم بالساعة.. وبعد قليل تقدمت إيميليا ومارين وجلسوا بجوار العجوز.

ـ أهلا بكم يا أبنائي، أتمنى أن تكونوا قد نمتم جيدًا.

نظرت إيميليا لها مبتسمة وهي تتأملها:

ـ لقد نمنا جيدًا، أشكرك على اهتمامك.

ـ ومن أين أتيتم يا ابنتي؟

في تلك اللحظة إيميليا ومارين أصابهم الصمت وظلوا يفكرون ولا يعلمون ماذا يقولون لها ولكن قبل أن تتعارك الأفكار في رأس ثلاثتهما، اقتحم المجال رونان الذي جاء وحيا العجوز فنسيت سؤالها ولم تنتبه بعد قدوم باقي الفريق إلى حديقة المنزل، فقد كانوا يجلسون في الهواء الطلق على طاولة في غاية الروعة ذهبية اللون، والورود تحاوطهم من كل صوب.

أمرت العجوز الخادمة أن تحضر لهم الطعام، وطلبت منهم بعد أن ينتهوا من الطعام أن يصعدوا للطابق الثاني، فسوف تكون في انتظارهم هي وأفراد عائلتها حتى يتعرفوا على الجميع..

ـ بالهناء والشفاء لكم.

قالتها العجوز، رد عليها أنطوان:

ـ دمتِ شافية، وشكرًا لكِ على كرمك.

فنظرت لهم العجوز وابتسمت.. قال ابنها الثاني والذي يدعى أديو:

ـ هيا اجلسوا.

وجلسوا جميعًا، وقال لهم الابن الأكبر أدورجان:

ـ لقد أتيحت لنا الفرصة بالتعرف على بعضنا البعض، أريد أن أقدم لكم عائلتي.

رد أنطوان عليه:

ـ لنا الشرف في ذلك.

ـ أشكرك، هذه زوجتي وهاتان البنتان هن بناتي، أما هذا فهو أخي أديو وبجانبه زوجته وهذان الشبان هم أولاده، وبالطبع تعرفتم على هذه الوردة الجميلة أمي..

ـ وأنا أدعى العم أنطوان، وهذا أدالريكو وهو أخي، أما هذا فهو رونان ولدي، وهذه إيميليا زوجة ابني وهذه مارين زوجة سينا.

وأشار بيديه عليهما.

ـ وسينا هو ابن أخي أدالريكو.

ـ نحن تشرفنا بمعرفتكم.

ـ ونحن أيضًا.

ـ ومن أين أنتم؟ أنتم من خارج ماريس؟

ـ لا نحن من ماريس ولكننا كنا نتنزه على ضفة النهر وضعنا داخل الغابة.

لم يصدقه أدورجان وعلم أنه كلامه غير معقول خصوصًا أنه لا أحد يتجول ليلًا في ماريس.

ـ هل كنتم تبحثون عن كتاب أجينيس هذا المجنون اللعنة عليه؟

صدمهم كلامه ولم يتوقع أحد هذا السؤال الذي طرح عليه، فقد كان يحاول أنطوان ألا يكشف أوراقه أمامهم احتياطيًاا فقط، وأنه لم يكن يخشى منهم أي غدر، فهم أهل كرم وغير مؤيدين لأجينيس مثلهم مثل باقي الشعب.. فرد عليه أنطوان:

ـ نعم معك حق، إنه فعلًا رجل مجنون، ويقود المملكة نحو الهلاك.

ـ صبرًا يا رجل فهذا يحفر قبره بيده.

انتبه أنطوان أن أدورجان يعلم الكثير، وأراد أن يخرج الكلمات من فمه، لعله يتمكن من إفادته.

ـ نهايته أوشكت، ولكني أخاف أن ياخذ المملكة معه إلى الجحيم.

ـ لا من هذه الناحية، لا تقلق فمملكتنا قوية لا يهزمها لا أجينيس ولا أتباعه.

ـ وهل تعلم شيئًا عن هذا الكتاب اللعين الذي يبحث عنه؟

ـ لولا أنك رجل يظهر عليك الوقار والحكمة، وكل الذين معك يظهر عليهم أنهم صالحين، لقلت أنك تبحث عن هذا الكتاب من أجل المكافأة الملعونة التي تضاعفت اليوم.

فضحك أنطوان وقال له:

ـ ماذا؟ تضاعفت؟

ـ نعم جاءت الاخبار لي أن أجينيس عرض اليوم على أهل المملكة أن يحصلوا على الكتاب، ويكثفوا جهودهم وسوف ينالون المكافأة مضاعفة وإلا منع عنهم خيرات البلاد وعاشوا في فقر.

ـ إذا كان أجينيس لا يجده، فكيف لأهل المملكة المغلوبين على أمرهم أن يبحثوا عنه!

فضحك أديو وأدورجان بسخرية وهنا بدأ يدخل الجميع في حوارهم.. قال أديو وهو يحاول أن يفهم منهم:

ـ كيف ستخرجون من هنا ليلًا والمملكة ملكنا بالنهار فقط؟

تعجب أنطوان ونظر لأدالريكو وقال أدالريكو له:

ـ ظننت لا أحد يعلم بشأن هذا.

فقال أدورجان بثقة:

ـ يا رجل كيف لا يشعر أهل المملكة بهذا، هم فقط الخوف يأكل قلوبهم من هذا الشيطان أجينيس ولولا ذلك لحاولوا الوقوف في وجه تلك القبائل الخفية، وكل الجالسين هنا يعلمون أن مملكتنا مسكونة بقبائل الجن أليس كذلك؟ حتى إنني متأكد أن وراءكم سر كبير.

فردت عليه إيميليا:

ـ نحن فقط نحب مملكتنا، ونحاول حمايتها وأظنكم مثلنا.

فنظر إليها أدورجان:

ـ يا ابنتي ومن قال أنكم تؤيدون أجينيس، كل المملكة تكرهه، والذين يبحثون عن الكتاب لا يكرهون المملكة أيضًا، بل طمعوا في المكافأة التي وضعها أجينيس لا غير ذلك.

فقال لهم أديو:

ـ نحن صادقون معكم كل الصدق، ونعرف أن معدنكم طيب، ولولا ذلك ما سمحنا لكم بالجلوس في منزلنا، لا داعي للقلق بشأننا.

فقال لهم أنطوان:

ـ وأنا ممتن لكم على ذلك حقًا، أنا وكل من معي.. وأعلم أن تساؤلاتكم شيء طبيعي تجاه أناس غرباء وتصرفاتهم بالنسبة للجميع غريبة.

رد أدورجان:

ـ نحن لا نتساءل فضولًا منا، ولكننا قد نتمكن في مساعدتكم، إذا عرفنا ما هي غايتكم وهدفكم؟

ـ كل ما يمكنني قوله لكم أننا نحاول إنقاذ المملكة لا غير ذلك.

ـ نتمنى ذلك حقًا.

ـ وأنا أتمنى منك أن كنت تعرف شيئًا قد يفيدنا فأفدنا به، قد نصل لما نريده سريعًا بدلًا من المماطلة، والوقت ليس في صالحنا.

صمت لحظة وكأنه متردد ثم قال:

ـ ولماذا تريدون أن تصلوا للكتاب؟

ـ ليس شيئًا سيئًا أبدًا، ولكن إن حصل عليه أجينيس قبل شعب ماريس فسوف تكون هذه نهايه المملكة.

اقتنع بهذا الكلام وخاصة أنه يعلم أنه معه حق.

ـ حسنًا سأخبركم ما لا يعرفه أحد سوى عائلة أدريانوس والجد الأكبر أنطونيوس وقد يفيدكم وقد لا ولكنني أشعر بأنه له علاقة بالأمر.

ـ ومن هؤلاء؟

ـ نحن أبونا هو أدريانوس وقد توفي منذ أن كنا شبابا، أما جدنا السابع فهو أنطونيوس، وكان رجلًا حكيمًا، يقرأ كثيرًا ويحبه الناس، وقد علمته الحياة والكتب ما مكنه من أن يحكم عقله في كل شيء، كنت أخشى أن نموت وهذه الوصية تدفن معنا، وقد أخذتها على كاهلي وأخي أيضًا، ونخشى الذنب.

ـ وأي ذنب؟

طلب منه أن ينتظر لحظات وأشار لأديو بعينه وكأنه طلب منه شيئا وبالفعل ذهب أديو ليحضر شيئًا.

"صدفة غير محسوبة"

جاء أديو بعد قليل، ومعه ظرف قديم، وشيء موضوع في إطار، والإطار قديم ويدل على أنه عتيق، وأعطاه بيديه لأخيه أدورجان الذي مد يديه لأخيه ليأخذهم منه

وقام بفتح الظرف ببطء، حتى لا ينقطع في يديه، وأخرج منه ورقة، ليست بالحديثة ولا بالقديمة، ولكنها تمسك بزمام الحروف التي كتبت بداخلها بشكل جيد.

كان الجميع ينظر لهم باندهاش، والتساؤل يطرق بابهم ككلاب جائعة، تنتظر أي رد فعل لتأخذ مبتغاها.

وهنا اقتحم أدورجان عبث التساؤل في عيونهم، ونظر لأنطوان وقال له:

ـ الورقة التي في الظرف هي وصية من أبي أدريانوس.

وأعطاها لأنطوان الذي بدأ قراءتها بصوت مسموع وكان مضمونها كالتالي:

"أبنائي الأعزاء

عندما تقرأون تلك الكلمات أكون أنا تحت التراب، وصعدت روحي للسماء، تركت لكم شيئًا وآمل أن يتسلم من جيل لجيل مثلما كان يحدث منذ سبعة أجيال، وأنتم الذين تسلمتم الأمانة من بعدي، صندوق جدكم

الأكبر أنطونيوس، أعلم أنكم تتساءلون ماذا يكون بداخل الصندوق، ولكنني لا أعلم حقًا ما بداخله ولكن ما أعلمه أننا إن قمنا بفتحه سوف يجلب لنا اللعنة هكذا عرفت من أبي وأجدادي، ولذلك حافظنا عليه كما هو ليس هو فقط، بل ورسالة قديمة لم تفتح قط، وربما فُتحت، ولكن اليقين أن الصندوق لم يقتحمه أحد حتى الآن، تعاونوا معًا للحفاظ عليه من أجلي ومن أجل أجدادكم، ومن أجل كل شيء قد يحدث إن لم تحافظوا عليه.

دمتم سالمين"

وأعطاه أنطوان الوصية وقال له:

ـ لم نفهم شيئًا أيضًا.

قال له أديو:

ـ مهلًا، ستفهمون الآن.

وقام أدورجان بإعطائه الوصية التي بداخل الإطار بحذر شديد.

ـ انتبه فهو في آخر عمره، ولم يتبقَّ من تلك الوصيه إلا بضع كلمات ليست مفهومة جيدًا، ولذلك قام أجدادنا بحفظها في هذا الإطار، ووضع عليها قطعة قماش سوداء ولم يقرأوها بل كانت تحفظ مع الصندوق كما هي.

أخذه أنطوان، وبدأ يقرأ مرة ثانية بصوت مسموع..

" لا أتمنى ف ح تلك الرس له قط، لأن عند فت ها يكون الص دوق قد ضاع من بين أيديكم، ولم تح فظوا عليه... كنتُ آمل أن يصبح ك شيء بسلام، ولكن وبعد أن ح ث ما كنا جميعًا نخشاه، فلابد من قليل من التوضيح، لتعيشوا بسلام بعيدًا عن الدمار الذي سيتسبب فيه الك اب الذي بداخل الصندوق، أحبائي فلتكونوا بعيدين عن كل ما يحدث بعد ضياع تلك الأمانة، ولتتوخوا ا حذر جيدًا، لا تختلطوا بال ملكة كثيرًا لابد وأن أحدهم سيحاول تنفيذ ما بداخل الكتاب، وتنقلب عليكم اللع ة".

انتهى أنطوان وقال:

ــ الكلمات غير واضحو وناقصة، ولكن يمكنني أن أفهم الآن أن الصندوق كان بداخله كتاب، أليس كذلك؟

رد أدورجان:

ـ نعم بكل تأكيد.

ـ ولكن الصندوق ضاع، ولذلك قمتم بفتح وصية جدكم.

ـ نعم، يا عم أنطوان، أنا وأخي أديو نشتبه بأن الكتاب الذي يبحث عنه أجينيس هو نفس الكتاب الذي كان في الصندوق، ودعانا لنحافظ عليه، خوفًا على المملكة مما قد يصيبها.

ـ وهذا قد يكون احتمالًا فقط أليس كذلك؟

ـ نعم إنه قد يكون احتمالًا، ولكنني أشعر وكأنه نفس الشيء فالتشابه ليس بقليل.

قال أدالريكو:

ـ وأنا أيضًا أشعر وكأنه نفس الشيء.

فقال أنطوان:

ـ وكيف ضاع الصندوق منكم؟

فقال أديو:

ـ إنها حكاية طويلة، يمكنني فقط أن أقول إنه كان آخر مرة على ضفة نهر ماريس.

هنا وقفت إيميليا وقالت:

ـ إنه نفس الكتاب، إنني من وجدته، وأعطيته لوالدي.

هنا انتبه الجميع لها وبدأت عائلة أدريانوس ينظرون إليها بشيء من الاندهاش والتساؤل يملأ عيونهم.. فقالت العجوز:

ـ ومن هو أبيكِ يا عزيزتي؟

فظهر على أنطوان الخوف والقلق وتدخل سريعًا وقال:

ـ إنها ابنة أحد حراس قصر أدريان.

خاف عليها أنطوان من أي أذى قد يصيبها إن علم أي أحد بتلك الحقيقة، فقال أدورجان:

ـ وكيف كان هذا الكتاب يا إيميليا؟

ـ لا أتذكر فقد كنت في السادسة من عمري.

ـ أجل، وما يفرق إن عرفنا شكل الكتاب، فهو في كل الحالات مجهول ولا يمكننا العثور عليه، ولا يعلم مكانه إلا واحد فقط وهو أدريان.

فقال أنطوان:

ـ أجل معك حق، أنا أشكرك كثيرًا على المعلومات التي أعطيتنا إياها وأيضًا على استضافتنا في بيتك اليوم، لابد وأن نخرج الآن لنستطيع الرجوع لداخل المملكة مرة أخرى.

قالت العجوز:

ـ ولماذا اليوم انتظروا غدًا، واليوم ارتاحوا جيدًا.

ـ أشكرك كثيرًا ولكن الوقت لن ينتظرنا.

جاءت الخادمة قبل أن يتوجهوا ناحية السلم للنزول وقالت:

ـ سيدتي.. سيدي.. السماء تمطر بغزارة الآن.

فردت العجوز:

ـ حسنا، حسنا يمكنكِ أن تصنعي لنا الآن شيئًا ساخنًا، ونحن سنوقد المدفئة.

وتوجهه أدورجان ناحية مدفئة عريقة، وعتيقة، وكأنها قطعة أثرية، وأخذ بعضًا من الحطب الموضوع بجانبها وقام بإشعالها، فملأت المكان بنسيم حرارتها ودفأت المكان جيدًا.

واضطررنا لأن نؤجل رحلتنا لمساء يوم غد، وجلسنا مع تلك العائلة وعلا صوت ضحكاتنا واستمتعنا بالتعرف عليهم، فكانوا من أصلٍ طيب وودود، كانوا حقًا محل ثقة، ووعدوا العم أنطوان أنهم سيكونون بجانبه وسيساعدونه إن احتاج شيئًا لإنقاذ المملكة، مهما كلفهم الأمر.

وجاء اليوم التالي سريعًا، وجاء موعد ذهابهم، وقاموا بتوديع عائلة أدريانوس، وتوجهوا لناحية مختلفة، وكان معهم أدورجان ليدلهم على الطريق، كان نفقًا يوصلهم للمملكة بشكل سريع، وقد اكتشفه أدورجان خلال صيده، وعلم أنه من صنع أدريان أثناء ثورته مع الشعب ضد احتلال أداماريس سابقًا، وأوصلهم للمكان واطمأن عليهم وأعدهم بكل ما قد يحتاجونه أثناء عودتهم، ورفض أن يأخذ أي مقابل لمساعدتهم، وتركهم وذهب.

وساروا في النفق وكان مناسبا لهم، وخاصة أن أرضية الغابة مازالت رطبة من مطر أمس، فقد كان أنسب حل للرجوع، وكأن خيط الخير يساعدهم ليصلوا إلى ما يبتغونه بأسرع ما يمكن لينقذوا ما يمكن إنقاذه.

وخلال ساعات وصلوا للمملكة وكان الظلام لم يحل بعد، وتوجهوا جميعًا إلى منازلهم، ليتجهوا إلى عملهم بالغد، ورونان يتدبر أمر غيابه بأي شكل ممكن، فهو ليس كأي أحد وإنما من حراس أجينيس.

"الاستعداد للقادم"

عادوا لحياتهم مرة أخرى بعد تلك المغامرة، استطاع رونان أن يتدبر أمر غيابه خاصة أن أجينيس مشغول ولم ينتبه لغياب أو وجود أحد، ولذلك لان الأوضاع غير مستقرة، ولولا ذلك لكان اتهم رونان بالخيانة لغيابه ليوم واحد، وقتل أمام الجميع حتى لو لم يكن هناك دليل، ولكن رونان أذكى من ذلك بكثير، ويعلم كل خبايا أجينيس، ومكائده، وكيف يتجنب شره جيدًا، فأبوه لم يتركه بين أيدي أجينيس إلا بعد أن دربه جيدًا، وعرف أصول اللعبة.

وبعد يومين.. سمعت إيميليا طرقًا على باب المنزل ليلًا.

ـ من الطارق؟

رد الطارق ففتحت الباب، فإذا بالعم أنطوان وباقي الفريق ودلفوا للمنزل وجلسوا، قال العم أنطوان:

ـ اجلسي يا إيميليا، لا داعي للاندهاش، فالمملكة الآن لم تعد مثل ذي قبل.

وأردف:

ـ هيا يا فريق لتستعدوا للمهمة الأكبر على الإطلاق، كانت المهمة ستسير بشكل مختلف، ولكن هناك قوى خفية جعلتها تبدأ بشكل طبيعي تبدأ من طرف خيط لتنتهي بطرفه الآخر، قد حدثت مشكلو في مدرسة مارين، وقد افتعلتها مارين دون أن تدري، لن أتطرق لتفاصيل المشكلة

ولكن ليس على مارين خطر، والمشكله استدعت رئيس مجلس المدينة للتدخل، وهنا تنتقل المشكلة من رئيس مجلس المدينو وإدارة مدرسة أجينيس، لرئيس مجلس المدينة وأجينيس نفسه وهذا ما سيفعله العم أدالريكو، وهو التعظيم من حجم المشكلة، وبعد غد سيكون العصفور (أجينيس) في القفص، أي جالس مع أدالريكو، وهنا يأتي دور إيميليا التي تصنع مصلا لتجعل أجينيس مريضا في الفراش، ويأتي دور سينا الذي سيجلب لنا الفاكهة التي سوف تحقنها إيميليا بالمصل وهنا ينتهي دور الجميع ما عدا رونان الذي سيبدأ مهمته وتعاود إيميليا مرة أخرى.

قالت مارين:

ـ ولماذا نجعل أجينيس مريضا؟

ـ هذا ما تعلمونه بعد ما أن تنجح المهمة، وتسير وفق تخطيطنا لها، هيا فليذهب الجميع الآن ويستعد للمهمة باستثناء رونان.

وذهب الجميع ولم يتبقَّ إلا إيميليا ورونان الذان ينصتان للعم أنطوان بشكل كبير.

ـ هيا يا أبطال فلتملأ الشجاعه قلوبكم ، فنجاح المهمه متوقف عليكم ، وإلا ضاعت مجهوداتنا سدى ، فقد نصل إلى أى شئ يعرفه أجينيس ولا نعلمه نحن ، وبالتالى سيكون توفيرًا لوقت كثير قد نبذله لحل عقدة واحدة فى هذا الخيط.

وذهب بعد ذلك رونان وبقي فقط العم أنطوان الذي شعر بخوف إيميليا.

ـ إيميليا يا ابنتي، إما أن ننجح في ذلك الأمر، أو نترك أمر البحث عن الكتاب إلى الأبد.

ـ إنني فقط أخشى أن ينكشف أمرنا، وأموت قبل أن أجد أبي أو أعلم سر اختفائه.

ـ لا يا ابنتي لا تخافي، إن رونان ليس كأي شخص، إنه أذكى شخص فينا، يعرف ماذا يفعل ومتى، يمكنه أن يحميكِ بكل سهولة فهذه مهمته، بجانب أن هناك من يحميكِ أيضًا.

ـ لعل القادم أفضل، ويساعدنا لنصل أخيرًا لما نريده.

ـ سيكون كذلك يا ابنتي، هيا لابد أن تستريحي لتتوجهي لعملك في الصباح.

ذهب الجميع وبقيت إيميليا شاردة، الساعات تمر ببطء شديد، وكأن الساعة معطلة، فهي تحمل في طياتها وبين دقاتها بعضًا من انتظارٍ مميت وخوفٍ مبهم وقلقٍ غير مبرر، نعم إنه غير مبرر، لأن تلك الهمة وإن غلبتها أصول المغامرة، فإن العم أنطوان لن يغامر أبدًا بالفريق، مهما كان ثمن النتائج والعواقب التي قد تحدث إن لم يصلوا إلى هدفهم.

تمددت على الفراش في محاولة منها لتنام لتستيقظ وتذهب لعملها دون أن تكون شاحبة الوجهه، قد تكون هذه آخر أيامها في طقوس بحثها المجهول، أو آخر ساعات لأنفاسها داخل المدينه، وبعد أن تمزق رأسها

من الأفكار التي تطرق بابها ذهابًا وإيابًا، قد استسلمت لنسمات النوم، وغفت في سبات عميق.

ذهبت إلى عملها في هذا اليوم مبكرًا على غير العادة، وصلت للمستوصف قبل الجميع، جلست على عتبة الباب، وكأنها تودع كل ذكرياتها التي ترتبط مصيرها بيوم غد، إنه اليوم الموعود، النقطة الفاصلة بين عصر وعصر، بين ظلام دامس ونور شديد.

وبعد قليل دلفت لداخل المستوصف، وبدأ العمل وهنا نسيت ما كانت تفكر فيه توًا، وانشغلت بالمرضى، وحينما جاء موعد انتهاء دوامها، تسابقت الأفكار كلها دفعة واحدة وشغلت كل زوايا عقلها دون رحمة وبعد تعب شديد من كثرة التفكير، قررت أن تترك كل شيء جانب، وتخف من توترها حتى تستطيع تنفيذ ما المطلوب منها.

دقت الساعة الحادية عشرة ليلًا، ووقفت حمامة بيضاء على نافذة غرفتها، فتذكرت ما بداخل حقيبتها، وعندما همت لتلتقط حقيبتها، سمعت صوت طرق على باب المنزل.

ـ من الطارق؟

ـ أنا رونان يا إيميليا.

فتحت الباب ودلف للداخل رونان وأغلقته وراءه.

ـ هل جهزتِ المطلوب؟

ـ نعم إنه في الحقيبة.

وتوجهت ناحية غرفتها، وأتت حاملة للمصل في يدها.

ـ احذر أن تنكسر الأنبوبة، أو يتناوله أحد عن طريق الخطأ.

ـ هل هو خطر على متناوله؟

ـ لا ولكنه يؤدي لألم شديد في البطن نتيجة للميكروب الذي استخدمته، وأيضًا ارتفاع درجة حرارة الجسم بالداخل والخارج، والشعور بعدم التوازن، ولكن ليس لدرجة الإغماء.

ـ ومتى يشعر متناوله بالألم؟

ـ بعد ساعة ونصف بالضبط ستبدأ الأعراض بالظهور واحدة تلو الأخرى.

ـ وهل يمكن أن يكتشف أحد أن المصل دس له بالطعام؟

ـ لا لا يمكن لأحد أن يعلم، غير متعارف على هذه الوصفات بداخل المملكة في الأساس وتأكدت من ذلك لا تقلق.

ـ سألتك فقط للاحتياط، ولكن لن يدخل طبيب غيرك للقصر.

أخذت نفسًا عميقًا وقالت:

ـ حسنًا.

ـ لا تقلقي أبدًا، سأكون بجانبك، أراكِ غدًا.

ـ سأنتظر قدومك.

نظر لها نظرة طويلة، ثم تركها وذهب ليلتقيا في موعدهم حسب المتفق عليه.

"خطر"

أحاول طرد الأفكار من رأسي طوال اليوم حتى أستطيع أن أمارس عملي، وأفحص المرضى، وأهتم بهم، ورعايتهم، ولكن التفكير لا يتركني دقيقة واحدة، تتصارع الكلمات وتتردد داخل ذهني، وتفقدني القدرة على التركيز طوال اليوم، فمهمة اليوم ليست بهينة، وإن لم نجد الكتاب أو شيئًا سوف يساعدنا في السير وراء طيفه، فسوف تزيد الخطورة والخطورة، وسوف نتطرق لمهام أعظم وأعظم، أنا لا أخشى حراس الظلام ولا أجينيس، أنا مطمئنة يا أمي، مطمئنة بوجودك وروحك التي لم تتركني، ومطمئنة بطيف أبي ورائحته التي ترافقني دائما، الرسائل التي كنت أجدها على ضفة النهر، والنهر هو من يرسلها لي كما كنت أعتقد، والتي أحتفظ بها في ثنايا قلبي، لا أعلم من كتبها حقًا أتركتها أمي قبل موتها أم أمر أبي أحد الحراس بكتابتها أم كان يدونها بيديه في الحادي والعشرين من كل شهر اليوم الذي ماتت فيه أمي، لا أعلم ولكن ما أعلمه أنني اليوم في طريقي لمصيري المقدر والمحتوم، ولا مجال للهروب أبدًا، إما المواجهه أو الموت ولا اختيار آخر ولا بديل، لقد ورثت الشجاعة من أبي، إن أبي لم يكن أعظم ملك فحسب، بل كان أعظم أب في الدنيا، أعطاني ما يُمكنني من العيش على ذكراه حتى الآن..

وقفت إيميليا على ضفة النهر، وهي تنتظر استدعاءها لقصر أجينيس، وقد قررت أن تأتي لتودع المكان فقد تكون آخر المرات التي تأتي فيها إلى الضفة.

توجهت لعملها وأثناء سيرها كانت تقدم قدمًا وتؤخر الأخرى، وكأن كل ما فيها يأبى أن يخوض أي شيء قبل أن تعرف مكان والدها، والتي كانت تظن أنه سجين عند أجينيس، وكان هذا آخر أمل لديها.

بعد ساعات من عملها وأثناء قيامها بفحص أحد الأطفال، دخل رونان مسرعًا للمستوصف..

ـ هيا أيتها الطبيبة تقدمي معي سريعًا.

ثم نظر إليها نظرة خاطفة فاطمأنت، وكأنه أزال كل التوتر من على قلبها الصغير، وأدركت أن كل شيء بأمان ويسير حسب الخطة.

وصلت لقصر أجينيس وأخيرًا، ولم يكن أقل غرابة من صاحبه، دلفت للداخل وراء رونان وما لفت انتباهها أن القصر ليس بداخله أحد،وكأنه مكان مهجور، أضواؤه بالداخل كلها حمراء، والذهب الذي زينت به الجدران يضيء مع النور الأحمر فيعطي رونقًا غريبًا من نوعه، هبطت سلالم وصعدت سلالم وكأنها داخل متاهة، ولم يكن ممتلئا بالخادمات والجواري مثله مثل باقي القصور ولكنه كان أشبه بخلية مختبئة تحت الأرض ولا يعلم أحد عنها شيئا.

اقتحم رونان تفكيرها عندما وقف عند أحد الأبواب، وقفت أمام الباب في ذهول، فالجوهرة الحمراء التي تزين الباب كانت بمثابة طلقة اقتحمت عينها، وجذبتها إليها كمغناطيس، لكزها رونان وفتح الباب وقال:

ـ تفضلي.

دخلت إيميليا الغرفة ورأت أجينيس طريحا على الفراش، وكان الضعف والهوان يأكل جسده، لم يكن أجينيس الذي سمعت عنه ورأته من قبل على المنصة، وكأن المرض يُظهر كل شخص على حقيقته، فمهما امتلأ الجبروت والفرعنة قلوبنا فنحن لا شيء أبدًا أمام الأكبر، نحن نكرة تمامًا، تقدمت إيميليا نحوه وفحصت الضغط، وعلمت أنه بخير تمامًا وكل تلك الأعراض ظاهرية فقط وستزول بمجرد أن تنتهي فعالية المصل، وأعطته شيئًا ليهدئ من أثر الأعراض ويرخي جسمه لينام فترة أطول حتى تنتهي المهمة، وأعطت لرونان دواء وقالت:

ـ يتناوله بعد أن يستيقظ من نومه.

ففهم رونان ما تقصده إيميليا.. وبدوأوا تنفيذ ما أتوا من أجله وخاصة بعد أن اطمأنوا أن أجينيس في نوم عميق ولن يستيقظ الآن، والجدير بالذكر أن أجينيس أضعف بدون حراسه من الجان، والذين خرجوا عن طوعه وللأبد.

اتجهت إيميليا ناحية رفوف الكتب الموجودة في غرفة مفتوحة على نفس الغرفة التي ينام بها أجينيس، ولم يكن لها باب، كانت تشرف على غرفته دون موانع تذكر، فقط ستار أحمر اللون.

بدأت تهمس على الكتب بأصابعها، واستمرت تبحث بشيء من السرعة قدر المستطاع، ولكن لم تجد مواصفات الكتاب تنطبق على أي من الكتب الموجودة، بعد أن أصبحت كل الكتب أرضًا، جلست على الأرض وبدأت تتفحص الكتب من الداخل وانتبهت أن الكتب تتكلم عن قبائل الجن وإبليس وخليفته، السحر الأسود، تحضير الجان وتسخيره لخدمته، ولكن كان بين الكتب ما لفت انتباهها بعيدًا عن كل تلك

الشعوذات، كتاب غلافه يعد مألوفًا لديها، صفحاته بيضاء ولكن تشعر وكأنه ممتلئ بالكلمات والشعور، ومن بين كل تلك الصفحات وقعت ورقة عتيقة وكأنها صنعت منذ آلاف السنين، عزمت على أخذ الكتاب ووضعت الورقة بداخله مرة أخرى ووضعت الكتب على الرفوف مثلما كانت موضوعة بشكل عشوائي.

في الوقت الذي كان يبحث رونان في الرفوف التي رصت بشكل أنيق في إحدى جدران الغرفه التي ينام بها أجينيس ولكنه لم يصل لشيء، فقط كانت كتب علم وثقافة وليس لها علاقة بما يبحثان عنه.

خرجت إيميليا من تلك الغرفة الصغيرة والتي تشبه المقبرة في انكتام الهواء بداخلها، والعناكب من كل اتجاه والجواهر الغريبة أمام كرسي يشبه الكرسي الذي يجلس عليه السحرة، والسجادة بجلد أحد الحيوانات والرائحة النتنة في المكان.

نظر لها رونان، وقال بصوت هامس:

ـ هيا يا إيميليا.

ولكنها لم تنتبه إلا لشكل المكتبة والتي لفتت انتباها، وكأنها كانت مختفية تماما عن عينها أثناء وجودها بالغرفة، شعرت وكأن الكتب تناديها والرفوف تتنفس وتهمس في أذنها، أمسكها رونان من يدها وسار مسرعًا، وأخذ من يدها الكتاب ووضعه في حقيبتها بين أدواتها وخرجا من القصر بسرعة كبيرة، وكانت عينها تائهة وكأن كل شيء ثابت لا يتحرك وهي في غيبوبة صمت مبهم غامض.

أوصلها حتى منزلها ودلفت للداخل وكأنها مسيرة وغير واعية لأي شيء. اضطر رونان للرجوع لعمله، ولكنه أرسل لوالده مرسالا بواسطة بومة بيضاء، أحد رفاقه في المملكة وعين له بين خباياها.

ظلت إيميليا شاردة على الفراش لساعات، وساعات وغير واعية لما حدث، ذهب الضوء تمامًا وحل الظلام، وهي ما زالت كما هي منذ أن خرجت من قصر أجينيس التي لم تعرف مكانه حتى ولم تستطع تحديد موقعه من المملكة، وقد اقتحم صوت طرق الباب ساعات طوال من التفكير..

"القصر المهجور"

كان الجميع ينتظرون مجيئهم، وبعد قليل دلف العم أنطوان وفي يده إيميليا وقال موجهًا حديثه لها:

ـ اجلسي يا ابنتي.

بدت على وجههم جميعا تساؤلات كثيرة فقال العم أنطوان:

ـ حسنا، انتبهوا معي حتى نتخلص من تلك التساؤلات لننتقل لما هو أكبر مما سبق.

استطاع في وقت قليل أن يلخص لهم ما حدث داخل قصر أجينيس، ثم أردف حديثه بقلة حيلة:

ـ إيميليا تقول إنها تشتبه بالمكتبة التي وضعت ببيت أجينيس على أنها مكتبة والدها، وقد تأكدت خاصة أن رونان وصف لي المكتبة وماهية الكتب التي تحتويها، ولكن هذا يا إيميليا لا يثير القلق.

قاطعته إيميليا:

ـ أريد أن أعرف أين قصر أبي، إنه مفتاح كل شيء.

ـ لوكانت معرفة القصر هو المفتاح لكان أجينيس استطاع الوصول له، وخاصة أنه أخذ مكتبة والدك ظنًا منه أنها تحتوي على الكتاب.

فقال رونان:

ـ كل ما يمكنني إفادتكم به في هذا الموضوع أن تلك المكتبه موجودة منذ أن أمسك أجينيس بزمام المملكة وتأكدت من ذلك بنفسي، ولكن لدي الآن ما هو أهم..

وأخرج من جيبه قطعة ذهبية خالصة، شديدة اللمعان، أصغر من كف اليد بقليل، ومدها ناحية العم أنطوان، فأمسكها العم أنطوان والعم أدالريكو وبدا عليهما وكأنهما يفكران في شيء واحد، فقال العم أدالريكو:

ـ كيف وجدت تلك القطعة؟

ـ ذهبت لغرفة أجينيس لإعطائه الدواء الذي سينهي الأعراض كما قالت لي إيميليا، ولكنني فحصت الغرفة جيدًا وتأكدت من أنها لم تتغير وكل شيء في مكانه الصحيح، قبل أن أوقظ أجينيس، وعندما دلفت للغرفة الصغيرة التي كانت تبحث فيها إيميليا وجدت تلك القطعة على الأرض، ربما كانت بين الكتب ولم تنتبه لها إيميليا، ولكن الشك انتابني ناحيتها، وأعتقد أن وراءها شيئًا يعود بنا لزمن الكتاب.

فقالت مارين:

ـ لقد تحدثت كتب التاريخ عن أشياء كهذا، ففي قديم الزمان، كانت المملكة تعطي لكل فئة من القصر وساما من الذهب الخالص وأجود أنواعه، و يكتب عليه إلى أي فئة ينتمي من حاشية القصر.

فقال العم أنطوان:

ـ مكتوب عليها كلاسيكيون تقريبًا.

فأمسكت بها مارين وقالت:

ـ كلاسيكيون تعني كتاب القصر في عصر ازدهار أداماريس من حيث العلم والكتابة، ولكن بجانب اللقب هناك علامة واضحة كانت تدل على العلم والعلماء.

ـ وماذا يعني ذلك؟

ـ هذا يعني أن حامل هذا الوسام كان من الكُتاب في العلم والعلوم ولذلك اقترن اسمه بكُتاب القصر، رغم أنه كان عالمًا.

فقال العم أنطوان:

ـ هذا لا يفسر إلا شيئًا واحدًا فقط، أن أجينيس يعود نسله لعلماء قصر أداماريس، والذين احتفظوا بالوسام جيدًا منذ كل تلك السنوات.

فقال رونان وكأن خطر على باله شيء:

ـ وما هو الزمن الذي يعود له الوسام؟

ـ حوالى سبعة أو ثمانية أجيال تقريبا. (قالها العم أدالريكو)

توقف الجميع عن الكلام وكأن خاطرة واحدة تدور في ذهنهم جميعًا، فقال العم أنطوان:

ـ حسنًا يا رفاق، إن الكتاب يعود لهذا الزمن وفق كلمات أبناء أدريانوس، وهذا لا يعني إلا أن نسل أجينيس كانوا يملكون هدفًا قويًا كل

تلك السنوات، وهو هذا الكتاب الملعون، ومن حسن نوايانا أن أطراف الخيط هي من طرقت على أبوابنا لتساعدنا على السير قدمًا وراء المجهول.

وفجأة تذكرت إيميليا أمر الكتاب وأخرجته من حقيبتها وقالت:

ـ هذا الكتاب وجدته بين كتب أجينيس التي تتحدث عن الشعوذة وبداخله ورقة ولكنني لم أفتحها بعد، إنه كتاب غريب بعض الشيء ولا أعلم سر أخذه معي دون تفكير.

التقطه العم أنطوان منها وبدأ يقلب صفحاته ووقعت تلك الورقة على الأرض فأمسكها وترك الكتاب أمامه ليقرأ ما بداخلها وبدأ يقرأها بصوت مسموع غير متوقع لما بداخلها..

"ولكن إيميليا أشعرتني دائما أن هناك ما يستحق أن أعيش من أجله، بعد أن ماتت كل آمالي في الحياة بعد موتك.."

تسمر الجميع في أماكنهم، وشعرت إيميليا بدفء الكلمات، واضطر أنطوان أن يكمل بصوت مسموع:

ـ كنت أشعر دائما بروحك تحاوطني أنا وابنتي، لم أنسَ أنا وهي تاريخ وفاتك، كان محفورا في قلبي بسهم وينزف كلما تذكرت ذاك اليوم، إنه الحادي والعشرون من كانون الثاني..

ولم يكمل فقد انقضت إيميليا وأخذت المكتوب من يده وظلت تقرأ والصمت يحل على الجميع، ولم يتبقَّ إلا صوت بكائها العالي.. انتهت من القراءة وقالت:

ـ عم أنطوان هذه الرسالة تشبه رسالة وداع، إنها آخر ما كتبه أبي، وكأنه كان يشعر بذلك (كانت تتكلم بصوت عالٍ والدموع تهطل كشلال ساخن يحرق كل ما يقترب منه) ولم يجب العم أنطوان على كلماتها فأردفت:

ـ أنت تعلم أن أبي مات أليس كذلك، تعلم أنه مات منذ أن رحلت (كانت تصرخ بصوت عالٍ)، كلماته لا تشير إلا لذلك، إنني يمكنني أن أشعر به، كنت دائمًا أشعر بروحه هو وأمي حولي، وكنت أكذب إحساسي بموته، ولكن إحساسي الآن يقول لي إنك كنت تعلم، واستخدمتني فقط للبحث لتنفذ المملكة على حسابي أنا.

لم يتمكن أنطوان من الحديث ولا يعلم ماذا يقول فهو كان يدرك أنه مات، وهو من يحرسها ولكنه كان يدرك أكثر أن إيميليا مفتاح اللغز في الوقت الذي كانت تدرك إيميليا أن الكتاب مفتاح لغز اختفاء أبيها. صرخت إيميليا بصوت عال وقالت:

ـ اتركوني وشأني.

وجرت ناحية الباب وخرجت منه وظلت تجري كالمجنونة ووراءها سينا ورونان، واتجهت لمدخل القصر الذي يوجد به القبو، وظلت تدفع الباب وتصرخ حتى فتح الباب على مصراعيه، وصعدت الدرجات، كانت تهرب من كل شيء، من البحث، ومن واقعها، ومن نفسها ولا تعلم إلى أين تذهب، فقط تمسك في يدها الكتاب والورقة التي كانت بداخله، وتجري بدون وعي، وغير مدركة لمصيرها، ولا أي عواقب قد تحدث نتيجة لذلك، فماذا يمكن أن يكون أغلى من والدها الآن..

وقفت أمام باب غرفة في هذا القصر المهجور، وتسمرت أقدامها، وبعد قليل سمعت صوت رونان والجميع بعد أن دخلوا للقصر، فتوجهت ناحية الغرفة ودفعت الباب، ولم يكن صعبا فتحه أبدًا، وكأنه كان يناديها منذ زمن، أغلقته وراءها جيدًا.

انتبه الجميع لصوت صرخة عالية من الطابق العلوي لهذا القصر المهجور، وكانت لإيميليا، فصعدوا الدرجات كالمجانين وبأقصى سرعة لهم، ولكنهم لم يتمكنوا من فتح الغرفة، أشار لهم العم أنطوان أن يتركوها بالدخل، ولا يستمروا بالطرق على الباب فعلموا أن هناك سببًا قويا لأمر العم أنطوان.

"الأرض السابعة"

كتاب غامض العنوان، عتيق، تغطي غلافه الأتربة، تتسلل عليه بعض الحشرات بين الحين الآخر المتوغلة من الهيكل العظمي الموجود على الأرض، والمرمي في إحدى زوايا غرفة مظلمة مغلقة منذ سنوات.

ولم ينتبه أحد لجثة الرجل ولم يعرف عنها الناس شيئا فقد أكلته الحشرات والديدان وتحلل وتعفن في تلك الغرفة المظلمة.

على أطراف الغابة بدولة ماريس بين الأشجار العالية، وحفيف الأوراق، أصوات فروع الأشجار وما يسكنها، في أحد القصور المهجوره، والتي لم يدخلها أحد وتنتشر عنها بعض الشائعات والأكاذيب والخرافات.

إن هذا الكتاب مطلوب، والبحث عنه سارٍ منذ زمن، كتاب إذا وجد سيزلزل الأرض جميعها

وسوف يتسبب في العديد من المشكلات.. وإن البحث عنه شاق و متعب ويتطلب سنوات للوصول إليه ويكاد يكون الوصول إليه شبه مستحيل.. وقد حاول الكثير البحث عنه ولكن محاولاتهم باتت فاشلة، ودب فيهم اليأس وأصبح الوصول إليه حلم الكثير والكثير..

كانت تلك الكلمات تدور حول رأسها كالفراشات، وتحلق في سقف الغرفة، وكانت إيميليا كالخرساء لا تتكلم فقط تنظر ولا تبدي أي رد

فعل، فدقات قلبها كانت أعلى من صوت الرياح بداخل الغرفة والهمسات والحفيف.

اهتز الكتاب الذي بيدها، ووقع منها على الأرض بجوار هيكل أبيها، وأخذت الصفحات تتقلب بشكل كبير، وأصواتها تتعالى مع أصوات صرخات صغيرة مدوية من جدران الغرفة، وفجأة سطع الكتاب، وخرجت منه أشعة ملأت كل الغرفة، وكأنه أصبح كشمس ملتهبة، شعرت إيميليا بهدوء ونسمات خفيفة على وجهها، وبدأ كل شيء يهدأ، ووجدت نفسها في حديقة خضراء جميلة وحولها الأزهار من كل اتجاه.

نظرت حولها، فوجدت طيفًا من بعيد، وبدأ يقترب شيئًا فشيئًا، حتى أصبح واضحًا تمامًا، ولا يبتعد عنها إلا خطوتين.

كانت أمها وأباها، يمسكان بيد بعضهما البعض، وينظران لها باشتياق، اقتربت منهم وانغمست بين أحضانهم بحرمان بنت صغيرة من حنان كليهما.. مد أدريان يده، فأمسكت بها وقال:

ـ دعينا نتجول عبر التاريخ ولو قليلًا داخل أداماريس.

الدنيا كلها تدور حولها، وكأنها تنتقل عبر أزمانٍ وعصور، الشخصيات تتمثل أمامها وكأنها بالفعل موجودة، كل شيء يدور بسرعة كبيرة، تنتبه لشيء وفجأة يتلاشى، وتحل محله أشياء أخرى، رائحة التاريخ تفوح وتقتحم أنفها، تشعر وكأنها رجعت للوراء آلاف السنين، فالملابس والبيوت والملوك مختلفين تمامًا عما هما عليه الآن، تعجبت عندما وجدت الحروب موجودة منذ قديم الأزل، وكأن الأنسان غُرس بداخله النزاع والدمار، كان بؤبؤ عينها يتحرك يمينًا ويسارًا وتحتًا وفوقا،

تحاول أن تنتبه لكل التفاصيل ولكن كانت السنين أسرع من أن تتوقف من أجل أن تكتشف كل خباياها.

وفجأة وجدت نفسها أمام قصر كبير، والناس يهتفون بشدة تارة وينصتون بشدة تارة، وجاء دور أحد الكُتاب وكان واثقا ويمشي بغرور وانتبهت للغضب على وجه الملك، وهتاف الناس بأن يُحاكم فقالت:

ـ ما هذا يا أبي، ماذا حدث؟

ـ إنه كاتب مغرور، يدعى أنتيمون، ويسير وراء النفوذ، كل ما يريده هو أن يفرض سيطرته ويبسط سلطانه بمساعدة الملك ثم بعد ذلك يتولى كل الأمور ويحتل كل الممالك، إنها الشهوة يا ابنتي والتي كانت السبب في أن تتمكن منا اللعنة جميعًا، فأهلكتنا دون سابق إنذار.

إنه من كتب الكتاب اللعين، واسمه الذي لا يعلمه أحد في المملكة باستثناء أجينيس بالطبع، لا يدل إلا أن الكتاب لا ينتمي لتلك الأرض، بالرغم من أن كاتبه بشري، ووجوده خطر على كل العالم، سجين، اسمه سجين ويعني الأرض السابعة، وكتب بواسطة بشري وجن كانوا يريدون السيطرة على بقاع العالم المختلفة، إنه لعنة يا ابنتي وستلحق بكل من يؤمن به وسيهلكه دون أن يدري.

ووجدت نفسها في قصر غريب، وهناك شخص جالس على عرشه، وأمامه أشخاص يشبهون رجال الحاشية، وأشار لها والدها لتسمع:

ـ بعد أن علمت أن تلك المملكة الهزيلة أرادت أن تحتل مملكتي التي لا تتسع المقارنة بينها وبين أداماريس، فعزمت على إنهائها، لتكون عبرة

لغيرها، وقتلت هذا الملك العالة على كل الملوك، وهم من كتبوا مصيرهم بأيديهم.

فأداماريس احتلت بسببه، اللعنة لحقت بالمملكة منذ وجود الكتاب، حيث أرادت أداماريس أن تحتل ألبيرتوس، فعلمت ألبيرتوس بذلك، واستطاعت القضاء علينا، كنوع من العقاب، ولنكون عبرة لمن يفكر أن يقترب منها، ولم نكن أولي قوة كبيرة لتمكننا من الخوض في تلك المعركة، ولكن وسوسة اللعنة داخل العقول تفسده يا ابنتي.

وفجأه انتقلوا أمام دكان قديم، يجلس فيه أحد الرجال ويظهر عليه الوقار رغم فقره الواضح، وقال:

ـ استطاعت حكمة أنطونيوس أن تكون أقوى من شهوته وطمعه وتطلعه للمزيد، وأنقذ المملكة لفترة طويلة، ولذلك لم تحل عليه ولم تستطع أن تتمكن منه ونجا منها.

وتلك كانت قصة الكتاب إلى أن وجدتِه أنتِ على ضفة النهر، بعدما تمت سرقته من أبناء أدريانوس.

ثم وجدت نفسها في قصرهم القديم، في غرفة مكتب والدها، ووالدها يجلس على المكتب كعادته، ولكنه كان يقرأ في كتاب حروفه دونت بالذهب والفضة، وكان منغمسا بالقراءة بشكل كبير، فأشارت لها روح أدريان التي بجانبها:

ـ إنني أثناء قراءتي لهذا الكتاب الملعون، عندما بدأت تطرق أفكاره عقلي وتتوغل داخلي، وتوقظ رغبة جامحة داخل كل البشر، أيقظت شهوتي للسلطة والنفوذ، وقررت أن أبدأ بتنفيذ ما بداخله، ولكن كل

شيء انقلب فوق رأسي، ودخل أجينيس للقصر فجرًا في اليوم التالي، الذي كنت أعد نفسي للقدوم إليكِ، ورأيت جشعه للمرة الأولى، وعندما طلب مني الكتاب رفضت بشدة، فقتلني دون أن يخشى شيئا، فالأمر كان سهلًا، فأنا كنت قد أخليت القصر من الجميع بسبب نيتي في الذهاب إليكِ، وبالتالي كنت لقمة سهلة وفريسة اصطيادها هين، ولكنه بحث عن الكتاب في المكان الخطأ فلم أتركه في هذا اليوم في المكتبة التي استولى عليها، ولحسن الحظ أن الكتاب كان تحت وسادة فراشي، كنت أقرأ فيه ونسيته، ولم يتمكن من الوصول للقصر بعد ذلك بسبب تعويذة خاطئة، فبدلًا من أن تخفي القصر عن الجميع ما عداه، نقلت القصر لمكان آخر بصورة جعلته مهجورا منذ زمن، أما أجينيس هذا فهو من كتب نهايته بيديه سترين ذلك في أقرب وقت..

هبطت دموعها دون أن تشعر..

ـ لا تحزني يا ابنتي، فهذا جزائي، وما حدث كان مقدرا ومكتوبا، إنني وأمك بجانبك دائما مثلما كنا دائما بجانبك في المملكة، والأخذ بيدك في كل الصعاب كما لو كنا موجودين بالفعل، وبحوزتك الآن دفتر مذكراتي، الكتاب التي وجدته عند أجينيس، فقد ماتت حروفه بموتي، ولكن دبت فيه الحياة عندما رجع لمكانه مرة أخرى، واستنشق هواء القصر، وسيظل حيًا للأبد كوجودي أنا وأمك.

وعادوا إلى الحديقة التي كانوا فيها قبل أن تتجول داخل أداماريس، واحتضنت أمها ثم والدها.

ـ والأن أسلمك إياه، لقد كان معي منذ زمن، وينتظر عودته لأرضه، وتلك المهمة من شأنك، ستسلميه لخادم سيظهر لكِ في الحال بعد أن تدخلي لعالمكِ مرة أخرى.

وفجأة اختفى كل شيء حولها، وجدت سجين في يدها، وعندما همت لتفتحه، مد أحدهم يده، فانتبهت له، ونظرت له فقال:

ـ أريد الأمانة.

واختفى توًا بعد أن أخذ أمانته التي هبطت لمستقرها، وهي الأرض السابعة.

هدأ كل شيء ولكن هل سيدوم هذا الهدوء طويلا، أم هذا الهدوء هو ما قبل العاصفة، وفي انتظار اللعنة مرة أخرى...

الأرض السابعة

تأليف: إسراء صلاح موسى.

جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعاده إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال او تدواله الكترونيا نسخا
او تخزينا دون إذن خطي من الدار